



-رابطة ذهنية:

سبق أن استعرضنا في الحلقة الماضية، ضمن سلسلة هذه الدراسة، أن تنظيم الدولة يكرر المطالبة بالرجوع لوثائقه الرسمية كقوله (فمن أراد الإنصاف فليتَّقِ اللهَ فِينَا، وليحُكِّمَ عَلَيْنَا مِنْ خَلَالِ بَيَانَنَا وَإِصْدَارَنَا وَخُطَابَاتَنَا) [العدناني، بيان بعنوان: لك الله أيتها الدولة المظلومة، مؤسسة الفرقان، الدقيقة: 13]

وفي بيان رسمي آخر يقول: (ومن أراد أن يعرف منهج الدولة و سياستها وفتاويها فليرجع إلى قادتها وبياناتها وخطاباتها ومصادرها) [العدناني، بيان بعنوان: إنما أعظكم بواحدة، مؤسسة الفرقان، الدقيقة: 30].

وهذا معنى رأى بين أتباع التنظيم حتى كان بعضهم يردد شعار " اسمعوا منا ولا تسمعوا عنا".

ولما كان هذا مطلب موضوعي وعلمي لا يسُوغ رده، فقد التزمنا في هذه الدراسة أن يكون المصدر الأساس الحجة هو وثائق التنظيم نفسها، واستخلصنا في الحلقة السابقة موقف تنظيم الدولة في التنصيص على تكفير قطاع واسع من عوام المسلمين وعلمائهم، وسنكمِّل في هذه الحلقة موقف تنظيم الدولة من الحركات الجهادية.

- ظهور جبهات المقاومة وتشكل الحركات الجهادية في العالم الإسلامي:

مع الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين ظهرت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وذراعها العسكري كتائب القسام، ثم مع الاحتلال الأمريكي لأفغانستان والعراق ظهرت عدة حركات مقاومة في هذين البلدين، ثم مع الثورات العربية في الشام وليبيا واليمن ظهرت كتائب ثورية وفصائل جهادية كثيرة أيضاً، ويختلف الراصدون والدارسون في تقييم وقراءة أداء هذه الحركات الجهادية اختلافاً عريضاً، وقد سلختُ من هذه الدراسة أي وجهة نظر شخصية لي في تقييم وقراءة هذه الحركات

الجهادية، لئلا يشوش الغرض الرئيس من هذه الورقة وهو "فهم واستيعاب موقف تنظيم الدولة من الحركات الجهادية الإسلامية"، بل إنني اجتهدت قدر الطاقة والإمكان أن أقف من كل هذه الحركات الجهادية أثناء عرضها نفس المسافة، دون فتح باب مفاضلة لحركة على الأخرى، كل هذا لئلا ينطعف البحث عن هدفه الأساس وهو سؤال: كيف ينظر ويعامل تنظيم الدولة مع الحركات الجهادية في العالم الإسلامي من خلال وثائقه الرسمية؟

وسنعرض فيما يلي تفصيلاً موقف تنظيم الدولة من المجاهدين والحركات الجهادية في العالم الإسلامي، في الشام وأفغانستان وليبيا وفلسطين وغيرها، وعمدتنا الأساسية هي "وثائق تنظيم الدولة الرسمية" فقط كما سبقت الإشارة، فلا نعتمد على كلام خصم ومناوي، بل ولا مشايع ومناصر لهم، وإنما ببياناتهم وإصداراتهم الرسمية لا غير، مع التأكيد مجدداً على الوقوف بمسافة متساوية من كل هذه الحركات الجهادية وعزل أي تقييم شخصي لها هنا، وأما ترتيب استعراضها فهو أمرٌ فرضه اعتبارات تسلسل العرض الفني فقط:

ـ استباحة دماء وأموال مجاهدي أحرار الشام:

أحرار الشام فصيل جهادي إسلامي معروف تخلقاً في ظروف الثورة الشامية، وقد أعلن تنظيم الدولة مراراً ردة مجاهدي أحرار الشام وخروجهم من الإسلام واستحلال دمائهم وأموالهم، ومن اللافت أن تنظيم الدولة لا يعتبر تكير مجاهدي أحرار الشام مسألة اجتهادية سائفة، بل ردة أحرار الشام عند تنظيم الدولة من المسائل التي يُغَلَّظ فيها الإنكار على المخالف، ومن ذلك أنه في شهر ذي القعدة لعام 1435هـ وقع انفجار غامض استهدف اجتماعاً لقيادات الحركة أسفراً عن مقتلهم بصورة جماعية تفطرت لها قلوب المحبين للجهاد الشامي على اختلاف أطيافهم، فنشر تنظيم القاعدة في اليمن بياناً وعرض فيه لذكر قيادات أحرار الشام المقتولين وترحّم عليهم، فغضّب تنظيم الدولة من هذا الموقف، واعتبره ترحّم على مرتدین، وجعله من جملة المآخذ على تنظيم القاعدة في اليمن، كما يقول تنظيم الدولة في سياق نقه لقاعدة اليمن: (وفي بعضها -أي ببياناتهم- الترحّم على مرتدِي الصحوات السلولية، قادة أحرار الشام)[مجلة دابق، العدد السادس، ربيع الأول، 1436هـ، ص[23]

فأنت تلاحظ هنا أن تنظيم الدولة يعتبر مجاهدي أحرار الشام مرتدین، ولذلك ينزل عليهم أحكام المرتدین الكفار الخارجين من الإسلام، ومنها عدم جواز الترجم على الميت الكافر كما قال الله (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ).

ويذكر النص السابق أيضاً الوصف الذي بسببه حكم بردتهم، وهو وصف الصحوات، وهو الوصف الكفري الأكثر تداولاً في خطاب تنظيم الدولة كما سبقت الإشارة في الجزء الأول من الدراسة، فكل من تم تصنيفه عندهم بأنه صحوات فهو مرتد خارج عن الإسلام مباح الدم والمال، ولذلك يكثر في خطاب تنظيم الدولة وصف مجاهدي أحرار الشام بأنهم صحوات، كما يقول تنظيم الدولة مثلاً (جيش الإسلام، وأحرار الشام، اثنان من فصائل الصحوات الرئيسية في الساحة الشامية)[مجلة دابق، العدد التاسع، شعبان، 1436هـ، ص36].

وسيأتي نماذج وشواهد أخرى لذلك أيضاً.

ـ استباحة دماء وأموال مجاهدي جيش الإسلام:

جيش الإسلام من الفصائل الجهادية الإسلامية الكبيرة، وهو حصيلة اندماجات متواتلة لعدد كبير من فصائل المجاهدين الصغيرة، يُقدّرها بعضهم بخمسين فصيل، ويذكر بعض أهل الخبرة من أشهر أعماله عملية "خلية الأزمة" التي قُتِلَ فيها قيادات النظام الأمني النصيري دفعة واحدة، وزعيمه هو القائد زهران علوش.

وقد لاحظت أن تنظيم الدولة شديد التوتر والتشنج ضد هذا الفصيل وقائده بصورة خاصة، ويعتبر ردة هؤلاء المجاهدين وخروجهم من الإسلام واستباحة دمائهم وأموالهم من المسائل المفروغ منها أصلاً التي لا تحتاج عنده لكتراة إيضاح.

ولا يقتصر الأمر عند تنظيم الدولة على الحكم على جيش الإسلام وقائده زهران علوش بالردة فقط، بل يحرضون أيضاً على أن يسبقوا اسمه بوصف المرتد إذا عرضوا له، وهذا له نماذج، ومنها مثلاً قول التنظيم:

(المرتد زهران علوش، قائد جيش الإسلام)[مجلة داير، العدد التاسع، شعبان، 1436هـ، ص71].

وفي موضع آخر يقولون أيضاً (المرتد زهران علوش)[مجلة داير، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص6].

والوصف الكفري المتكرر الذي يرون أن زهران علوش ومجاهدي جيش الإسلام وقعوا فيه هو أنهم عندهم "صحوات"، كما يقول التنظيم (جيش الإسلام، وأحرار الشام، اثنان من فصائل الصحوات الرئيسية في الساحة الشامية)[مجلة داير، العدد التاسع، شعبان، 1436هـ، ص36]، ومثل هذا كثير عندهم، والصحوات من أشنع نواقض الإسلام لدى تنظيم الدولة كما سبق بيانه مراراً، وسيأتي شواهد أخرى أيضاً.

ـ استباحة دماء وأموال مجاهدي الجيش الحر:

الجيش الحر مظلة عامة يدخل تحتها طيف متنوع ومتناول من الأفراد والتشكيلات التي دخلت الثورة مع اندلاعها وتسلحها وواجهت النظام، وعصبهم آنذاك المنشقون عن النظام الأسدية، وهو الواجهة العسكرية الأولى للثورة، وهؤلاء المقاتلون بعيدون عن الغوص في التفاصيل العقدية والفقهية التي تختلف حولها الفصائل الجهادية المنتسبة للسلفية، ويدرك أهل الخبرة بالشأن الشامي أنه يغلب على مقاتلي الجيش الحر روح النخوة لأهل بلددهم والحمية الإسلامية العامة، وهمهم الأساس "إسقاط النظام الأسدية الظالم" وكف عدوانه على الشعب، وبسبب كون الجيش الحر مظلة عامة فقد دخل فيها بعض المرتزقة الذين شوّهوا جزءاً من صورته، وتختلف عامة الفصائل في تقييم الجيش الحر وتشكيلاته شرعاً وسياسياً وعسكرياً، مع التأكيد على التفاوت الشديد بين المنتسبين للجيش الحر، أفراداً وكتائب.

وأما تنظيم الدولة فقد حسم أمره مبكراً، واعتبر الجيش الحر طائفة مرتدة وخارجية عن الإسلام بإطلاق، ومقاتلوه تستباح دمائهم وأموالهم، وتصريحهم بردة الجيش الحر كثير، ومنها على سبيل المثال في سياق نقدم لأحد الفصائل قالوا عنهم (ثم بعد ذلك هو وكمار قادته يتعاونون مع الجيش الحر المرتد)[مجلة داير، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص75]

وفي موضع آخر ذكروا أنه لا شك في ردة بعض الكيانات وذكروا منها "الجيش الحر"، وذكروا أن "هؤلاء المرتدين مقرهم تركيا" [مجلة داير، العدد الثامن، جمادى الآخرة، 1436هـ، ص53].

ووصفوهم بالردة أيضاً في محل آخر (مرتدو الجيش الحر يقاتلون في سبيل الديمقراطية)[مجلة داير، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص44]

ويرى تنظيم الدولة أن ردة الجيش الحر ليست ردة أفراد فقط، بل هي أيضاً ردة الطائفة المحاربة، والطائفة المرتدة المحاربة لها أحكام أغلظ من المرتد المنفرد، وقد سبقت الإشارة لهذا التمييز عند الفقهاء، كما يقول تنظيم الدولة: (الطوائف الممتنعة كالجيش الحر وحلفائه الذين يقاومون الشريعة وأحكامها)[مجلة داير، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص51]

وينقل أحد منسوبיהם عن نفسه وعن نفسه بعض الرموز أنهم كانوا قد اعتادوا تكفير الجيش الحر، كما يقول (حيث كنا في مجالسه جميعاً نكفر الجيش الحر المرتد)[مجلة داير، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص75].

وموقع الشاهد هنا هو "إقراره" على نفسه باستمراره تكبير الجيش الحر، وأما دعوه على غيره فهي شهادة مردودة لما عارضها من موانع قبول الشهادة.

وأمثال هذه الإشارات لردة الجيش الحر وخروج مقاتليه من الإسلام واستحلال دمائهم وأموالهم كثيرة في إصدارات تنظيم الدولة، وهم يدعون أن الجيش الحر "صحوات"، وهو الوصف الأكثر ترددًا في أدبيات التنظيم، وأنهم ممتنعون بالشوكة عن تحكيم الشريعة، وكل هذه أسباب للردة، بل الردة المغلظة، طبقاً لتنزيتهم وتكييفهم.

ـ استباحة دماء وأموال الجبهة الإسلامية:

تكررت المطالبات في الشام وخارجها لجتماع الفصائل في وعاء جامع لتحقيق هدفها، وكان من نتائج ذلك حدوث اندماجات كثيرة لفصائل صغيرة ضمن فصائل أكبر، فالفصائل الكبرى كأحرار الشام وجبهة النصرة وجيش الإسلام وأضرابها سبق أن اندمج فيها مراراً فصائل ومجاميع صغيرة ضمن تاريخ تشكيلها، ثم تطورت المساعي إلى تحقيق تحالفات واندماجات أكبر، وكان من أشهرها تشكيل "الجبهة الإسلامية" التي أُعلن عنها في محرم 1435هـ/نوفمبر 2013م، وتضم هذه الجبهة فصائل وكتلتين سابقة، وهي كما جاء في ميثاقها: حركة أحرار الشام، ألوية صقور الشام، كتائب أنصار الشام، جيش الإسلام، لواء التوحيد، لواء الحق.[ميثاق الجبهة الإسلامية، 18/11/1435هـ الموافق 22/11/2013م، ص7].

وهذه الفصائل الموقعة على الميثاق هي أيضاً حصيلة تكتلات سابقة لفصائل صغيرة أخرى كما سبقت الإشارة، ويدرك أهل الخبرة أن عدد المقاتلين في هذه "الجبهة الإسلامية" قوامه يتجاوز عشرات الآلاف من الجنود المجاهدين.

ورئيس مجلس الشورى في هذه الجبهة هو أبو عيسى أحمد الشيخ، ورئيس المكتب السياسي حال إعلانها هو أبو عبد الله الحموي، ورئيس المجلس الشرعي حال إعلانها هو أبو عبد الملك الشرعي -رحمهما الله-، والقائد العسكري العام للجبهة هو القائد زهران علوش.

وهذه الجبهة بكل مكوناتها، وبكل عدد مجاهديها الضخم؛ أُعلن تنظيم الدولة أنهم مرتدون خارجون عن الإسلام مباحو الدم والمال، والحقيقة أن هذا الموقف كثير جداً في إصدارات التنظيم، ومن هذه الإشارات قولهم:

(الجبهة الإسلامية المرتدة) [مجلة داير، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص7]

في أحد الحوارات مع أحد منسوبيهم يروي استنكار المخالفين لموقفهم في تكبير الجبهة الإسلامية فيقول (على سبيل المثال: كانوا ينكرن على الدولة الإسلامية لإعلانها تكبير "الجبهة الإسلامية"...) [مجلة داير، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص75]

وفي موضع آخر ينكرن على القائد أبي محمد الجولاني أن يتحالف مع الجبهة الإسلامية لأنهم "مرتدون" فيقول التنظيم (راجع سلسلة "حلفاء القاعدة في الشام" لتقراً عن ردة حلفاء جبهة الجولاني، فهل ستقيم جبهة الجولاني الشريعة مع من يحتمل إلى رغبة الشعب ("الجبهة الإسلامية" بقيادة زهران علوش)) [مجلة داير، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص58].

ولذلك يطلق التنظيم في خطابه الرسمي على "الجبهة الإسلامية" الألقاب التي اعتاد إطلاقها على من يكفرهم، كقول أبي محمد العدناني في بيان رسمي مثلاً (الجبهة الإسلامية، جبهة الضرار، جبهة آل سلول)[أبو محمد العدناني، بيان بعنوان: ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، الدقيقة: 8].

ومناط التكبير الأساس هو طبعاً اعتبارهم أن "الجبهة الإسلامية" هي أحد صور وأشكال "الصحوات"، والصحوات في قاموس التنظيم هي من أصرح صور الردة والخروج من الإسلام، والإشارة إلى أن "الجبهة الإسلامية" صهوات، ويقومون

بدور وأفعال الصحوات كثيرة جداً في الخطاب الرسمي للتنظيم، وعلى سبيل المثال انظر الموضع التالي من مجلتهم الرسمية:

- [مجلة داير، العدد الثامن، جمادى الآخرة، 1436هـ، ص8].

- [مجلة داير، العدد التاسع، شعبان، 1436هـ، ص7، ص22، ص59، ص60].

- [مجلة داير، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص6، ص51].

وقد كنت وجدت أتباع تنظيم الدولة يروجون بحثاً يقع في (32) صفحة بعنوان (بيان الهيئة الشرعية حول الجبهة الإسلامية وقياداتها) موقعاً باسم (الهيئة الشرعية في الدولة الإسلامية في العراق والشام) مؤرخ في 14/6/1435هـ، ومكرس لبرهنة ردة الجبهة الإسلامية وقياداتها وميثاقها وفصالها وجنودها، وذكروا فيه من ألوان الغلو في التكفير والطرائق البدعية المحدثة شيئاً مفزواً، لكن لم أستطع الاعتماد الإضافي عليه هنا لأنني لم أستطع التحقق من إقرارهم رسمياً بنسبة هذا البحث لهم، حتى ولو كان أتباع التنظيم يتداولونه، لما سبق أن اشترطت على نفسي في هذه الدراسة، ولذلك اكتفيت بأحكام التكفير الصريحة للجبهة الإسلامية التي ذكرها التنظيم في وثائق أخرى.

حسناً، لنسجل الآن أن الجبهة الإسلامية تضم من فصائل المجاهدين (حركة أحرار الشام، ألوية صقور الشام، كتائب أنصار الشام، جيش الإسلام، لواء التوحيد، لواء الحق) وأن تنظيم الدولة يعلن رأيه بوضوح وبصورة متكررة أن كل هؤلاء المجاهدين "مرتدون" خارجون عن الإسلام مباحو الدم والمال.

والجبهة عموماً حدث لها تطورات في تشكيلها ووأقعاها وهي لا تعنينا هنا، وإنما يعنيها تصور تنظيم الدولة للفصائل المجاهدة فيها.

استباحة دماء وأموال الجبهة الشامية:

وفي سياق المزيد من التكتلات والتحالفات للفصائل المجاهدة، وفي ظل ضغط الظروف في حلب والشمال السوري، أعلنت بعض الفصائل المجاهدة عن تحالف آخر يضم الفصائل (الجبهة الإسلامية بحلب، حركة نور الدين زنكي، جيش المجاهدين، جبهة الأصالة والتنمية، تجمع "فاستقم كما أمرت")، تحت اسم "الجبهة الشامية"، ثم انضمت لها أيضاً فصائل أخرى جديدة، ثم حدث لها تحولات جوهرية في واقعها ووجودها وحول تعين مستوى التنسيق بين الفصائل الأعضاء ليس هذا موضع عرضها.

وهذه "الجبهة الشامية" وكل من تضمه من المجاهدين من قيادات وأفراد أعلن تنظيم الدولة عن موقفه الصريح الواضح تجاههم بأن مجاهدي "الجبهة الشامية" مرتدون خارجون عن الإسلام مباحو الدم والمال، ومن ذلك أن تنظيم الدولة استعرض في العدد الثامن من مجلته الرسمية خبر إعلان "الجبهة الشامية"، وعرض نص خطاب رئيس مكتبه السياسي، ونص على الحكم عليهم بأنهم (صحوات الردة) [مجلة داير، العدد الثامن، جمادى الآخرة، 1436هـ، ص9]

وذكر تنظيم الدولة من الاعتبارات التي تؤكد ردتها قولهم (على سبيل المثال: "الجبهة الشامية" تنطق بكلمة الكفر من خلال رئيس مكتبه السياسي والإعلامي..) [مجلة داير، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص73].

والعلة التي يذكرها تنظيم الدولة مراراً هي أن الجبهة الشامية أحد صور "الصحوات" كما يقول التنظيم مثلاً (فصائل الصحوات التي شكلت لاحقاً "الجبهة الشامية"...) [مجلة داير، العدد الثامن، جمادى الآخرة، 1436هـ، ص9].

ثم في موضع آخر ذكروا "تحالف الصحوات" وذكروا منها نصاً "الجبهة الشامية" [مجلة دابق، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص58]. وتكررت هذه الإشارة لكون الجبهة الشامية "صحوات" في مواضع أخرى [انظر مثلاً: مجلة دابق، العدد التاسع، شعبان، 1436هـ، ص28].

وحين عرض تنظيم الدولة لـ"الجبهة الشامية" ومشروعاتها في التحالف مع قوى الثورة، قسمهم إلى فريقين: وطنيين إسلاميين، ووطنيين علمانيين، ثم قال (هذا الفريقان يتنافسان لإظهار الردة أكثر وأكثر) [مجلة دابق، العدد الثامن، جمادى الآخرة، 1436هـ، ص9].

ومن أساليب عرض التكفير، أو أساليب برهنة التكفير، التي لاحظتها لدى تنظيم الدولة أن يأتوا لجهة أو حركة أو شخص يرون أن ردته من المعلوم بالضرورة عندهم، ويقيسوا عليه من يريدوا برهنة تكفيه للقارئ، ومن ذلك مثلاً أن هذه الفصائل الجهادية التي سبقت الإشارة إليها والتي انضمت إلى الجبهة الشامية قام تنظيم الدولة ببرهنة ردتهم ببني الفارق بينهم وبين من ردته من المعلوم بالضرورة عندهم وهو "جبهة ثوار سوريا"، فأمثال الأئتلاف الوطني وجبهة ثوار سوريا ونحوها تعتبر عندهم - بحسب ما رأيت - الشاهد المثالي النهائي للردة النموذجية، فترى تنظيم الدولة يقول مثلاً:

(أخيراً، ما الفرق الحقيقي بين حركة حزم وجبهة ثوار سوريا، وبين جيش المجاهدين وكتائب زنكي وتجمع فاستقم كما أمرت وجبهة الأصالة والتنمية والفصائل المختلفة للجبهة الإسلامية؟) [مجلة دابق، العدد الثامن، جمادى الآخرة، 1436هـ، ص11].

وهذا الأسلوب في خطابهم بإثبات ردة المجاهد بقياسه على مرتد آخر في نظرهم له شواهد أخرى سأعرضها لاحقاً بحول الله، وإن كان هذا النص السابق له علاقة برهانات سجالية يتوخاها تنظيم الدولة مع جبهة النصرة.

ـ استباحة دماء وأموال مجاهدي جبهة النصرة:

جبهة النصرة فصيل جهادي مشهور في الشام، وزعيمه القائد أبو محمد الجولاني، وقد لاحظت أن تنظيم الدولة يتعامل مع جبهة النصرة وأميرها أبي محمد الجولاني، وتنظيم القاعدة وأميره د.أيمن الظواهري، وحركة طالبان وأميرها الملا عمر؛ باعتبارهم كلام منظومة متربطة، وحرص التنظيم في مواضع على استحضار هذه العلاقة الولاية وإبرازها، حيث يؤكد تنظيم الدولة مراراً أن أبي محمد الجولاني أمير جبهة النصرة مباعي للظواهري أمير القاعدة، ود.الظواهري أمير القاعدة مباعي بدوره للملا عمر أمير طالبان.

فأما عن استحضارهم لكون الجولاني أمير جبهة النصرة مباعي للظواهري أمير القاعدة فانظر مثلاً [العدناني، بيان بعنوان: عذرًا أمير القاعدة، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، الدقيقة:12، الدقيقة:15]. ونشرت مجلتهم الرسمية دابق على مدى ثلاثة أعداد سلسلة تقارير مطولة في عنوانها الرئيس (القاعدة في الشام) يقصدون بها جبهة النصرة وأميرها أبي محمد الجولاني. [انظر: مجلة دابق، العدد الثامن، ص7؛ العدد التاسع، ص6؛ العدد العاشر، ص6].

وأما عن استحضارهم لكون أمير القاعدة د.أيمن الظواهري مباعي للملا عمر أمير طالبان فمنها قول العدناني مخاطباً الظواهري والقاعدة (أنتماليون جنود تحت سلطان الملا عمر) [العدناني، بيان بعنوان: عذرًا أمير القاعدة، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، الدقيقة:12].

وفي أحد الشهادات التي نشرها التنظيم تقول (و خاصةً أن أمير تنظيم القاعدة الظواهري كان دائمًا يصرح أنه مباعي للملا محمد عمر) [مجلة دابق، العدد السادس، ربيع الأول، 1436هـ، ص46].

ويقول تنظيم الدولة في لغة تنديدية (لا بارك الله في بيعة قاعدة مزعومة للملا عمر) [مجلة دابق، العدد السادس، ص24].

ونحن هنا لا يعنينا بطبيعة الحال تحقيق مدى دقة تصور تنظيم الدولة عن طبيعة ونمط العلاقة العضوية بين هذه الكيانات الثلاث، وإنما يعنينا بشكل أساس فهم تصور تنظيم الدولة عن الكيانات القائمة وحكمه عليها، ففرض الدراسة الأساس هو الفهم والتصور.

فهذه المنظومة المترابطة في منظور تنظيم الدولة (جبهة النصرة، تنظيم القاعدة، طالبان) قد أعلن تنظيم الدولة مراراً أنهم ولدوا في نواقض الإسلام وارتدوا وصاروا مستباحي الدم والمال، وسنستعرض بعض شواهد هذه العقيدة التي يعتقدها تنظيم الدولة.

فأما "جبهة النصرة" فالناقض الأظهر الذي وقعوا فيه -بحسب عقيدة تنظيم الدولة- أنهم تلبسوا بوصف "الصحوات"， ووصف الصحوات هو من أغلظ مناطق الردة والخروج من الإسلام في أدبيات تنظيم الدولة، كما يعرفه التنظيم (الصحوات مصطلح سبكته البيان الأمريكية لتجميل مرتديهم) [مجلة دابق، العدد الأول، رمضان 1435هـ، ص20].

يتحدث تنظيم الدولة بأن جبهة النصرة مرتدة خارجة عن الإسلام بدخولها في "تحالف الصحوات" حتى لو أظهرت خلاف ذلك فيقول (الادعاء الظاهري بالانتماء للإسلام والنية المزعومة بتحكيم الشريعة، كما هو الحال في جبهة الجولاني وغيرها في هذا التحالف، لا يؤثر على هذا الحكم..، فهؤلاء بتحالفهم مع هذه الطوائف الممتنعة وبقتالهم معها ضد الدولة الإسلامية؛ فهم في الحقيقة يشنون الحرب على الشريعة القائمة مستبدلين بها غيرها، وهذا كفر وردة) [مجلة دابق، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص54].

ويرى تنظيم الدولة أن "جبهة النصرة" ليست مجرد متعاون من يُعد مع "الصحوات المرتدين"، بل جبهة النصرة في نظرهم أحد رؤوس الصحوات وأعمدتهم، كما يقول التنظيم مثلاً (الجولاني دخل كلاعب أساس في مؤامرة الصحوات الخبيثة) [مجلة دابق، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص51].

بل الأمر أغلظ من ذلك أيضاً، حيث يرى تنظيم الدولة أن "جبهة النصرة" تمثل الجهاز الأمني للصحوات المرتدين، فحين تعرض تنظيم الدولة لما يراه انكشاف أعمال جبهة النصرة في حلب قال:

(المحققون في سجون الصحوات كانوا من المسؤولين الأمنيين في جبهة الجولاني، وإذا أراد المهاجر الأمان لنفسه فإن تحالف الصحوات يأمرونه بتسليم نفسه لجبهة الجولاني، وكل هذا يتم بالتعاون مع الفصائل الأخرى في تحالف الصحوات..) [مجلة دابق، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص51].

والذي نفهمه من هذا التصوير أن تنظيم الدولة يعتقد أن جبهة النصرة هي قلب الجهاز الأمني لتحالف الصحوات المرتد، حيث تقوم جبهة النصرة بدور القبض والتحقيق في سجون الصحوات، أي أن جبهة النصرة -بحسب اعتقاد تنظيم الدولة- هي وزارة الداخلية لتحالف الصحوات المرتد.

ولذلك فقد صار تنظيم الدولة يحرض في خطابه على إبراز أن "جبهة النصرة" هي أحد مكونات "الصحوات" المرتدة، ومن ذلك مثلاً هذه الشواهد:

(في البداية، تحالف الصحوات الخبيث في الشام يتألف من جيش المجاهدين والجبهة الإسلامية وجبهة ثوار سوريا والجيش السوري الحر وجبهة الجولاني) [مجلة دابق، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص51].

ويقول التنظيم كذلك (وأيضاً، فإن تحالف الصحوات يتألف من الجيش السوري الحر والجبهة الشامية وفيلق الشام وجيش الإسلام وجبهة الجولاني) [مجلة دايم، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص58].

وهذه الفصائل التي تشير لها هذه الشواهد بأنها مشاركة لجبهة النصرة في الصحوات سبق أن أطعننا سوياً على حكم تنظيم الدولة عليهم بالردة والخروج من الإسلام.

ولذلك يعرض تنظيم الدولة لجبهة النصرة باعتبارها أحد مكونات "الصحوات" ضد أهل الإسلام فيقول مثلاً (فصائل الصحوات بما فيها جبهة الجولاني تحركت ضد مجاهدي درعا..)[مجلة دايم، العدد التاسع، شعبان، 1436هـ، ص58]. وكرروا ذات هذا التعبير التأكيدية في نفس الصفحة مرةً أخرى (فصائل الصحوات بما فيها جبهة الجولاني).

ويعرض تنظيم الدولة صورة لشباب يمتهنون مدرعة عليهم سيماء التيارات الجهادية ويرفعون بيرق جبهة النصرة ويعلق عليهم تنظيم الدولة بالقول (مقاتلون من فرع الجولاني في الصحوات)[مجلة دايم، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص72].

والأجل كون "جبهة النصرة" من رؤوس الصحوات فإن تنظيم الدولة يعتقد أن الطيران الأميركي الصليبي من ضمن مهامه يعمل على حماية ومساندة جبهة النصرة، كما يقول تنظيم الدولة (طائرات الكفار الفجار تأتي لتقصى وتحمي تحالف الصحوات بما فيها جبهة الجولاني..)[مجلة دايم، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص66].

وعرض تنظيم الدولة مرةً لشخص وذكروا أنه تاب وذكروا شيئاً من حسن إسلامه بعد توبته حيث يقولون (هذا الرجل قد تاب مما كان عليه من قبل، وانضم للدولة الإسلامية، وصرح بتكفير الجولاني لعدة قضايا شهدنا بنفسه قبل مغادرته إياه)[مجلة دايم، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص76].

وهذا يعني لدى تنظيم الدولة أن تكفير الرجل لجبهة النصرة أو للجماعات الجهادية من علامات حسن إسلامه بعد توبته وصدعه بالحق ومن الأعمال الصالحة التي ينوه بها.

ومن الاعتراضات التي كان يواجهها تنظيم الدولة أن جبهة النصرة ليست متحالفة مع الصحوات المرتدين لأنها لم توقع رسمياً مع الجبهة الإسلامية والجبهة الشامية ونحوها من التحالفات، ويرى تنظيم الدولة أن هذه شبهة يجب الرد عليها، وجوابهم عنها أن "تولي الكفار والمرتدين والتحالف معهم" لا يشترط أن يكون مكتوباً أو رسمياً، بل يكفي وجوده الفعلي على الأرض، كما يقول التنظيم في عرض جوابه على هذه الشبهة:

(الدخول في تحالف يكون بالتعاون معه على هدفه، وليس شرطاً أن تقع الطائفة على ورقة عضوية للانضمام لهذا التحالف. وبعض أدعية jihad يصررون على الكذب البواح إذ يدعون أن "جبهة الجولاني لم تشارك في الصحوات") [مجلة دايم، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص51].

وقد وظف تنظيم الدولة ها هنا ذات الأسلوب الذي أشرنا له سابقاً، وهو نفي الفارق بين من يريد تنظيم الدولة عرض وبرهنة ردته وبين من ردته عندهم، أو عند القاري المفترض بالنسبة لهم، باتت شديدة الواضح، ومن ذلك مثلاً أن تنظيم الدولة سبق أن أعلن أن "الجبهة الإسلامية مرتدة" وقد سبق نقل نصوصه قريباً في هذا الشأن، ثم جاء لجبهة النصرة ونفي الفارق بين ردة الجبهة الإسلامية وردة جبهة النصرة، حيث يقول التنظيم:

(وأما الواقع اليوم، فإن حال جنود الجبهة الإسلامية لا يختلف عن حال جبهة الجولاني، فكلاهما يتنافسان في قتال الدولة الإسلامية دفاعاً عن الفصائل الممتنعة عن الشريعة) [مجلة دايم، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص73].

وهاهنا يشير تنظيم الدولة إلى صورة أخرى من صور نواقص الإسلام التي ولغت فيها جبهة النصرة بحسب نظرهم، وهو "القتال نصرة للطوائف الممتنعة عن الشريعة"، وهذا الناقص من أغفل نواقص الإسلام، إذ يترتب عليه من الآثار أشد مما يترتب على الردة المجردة والمنفردة.

وقد لاحظت أن الشواهد والتنبيهات في خطاب تنظيم الدولة على أن "جبهة النصرة" صحوات أغزر من نصوصهم عن غيرها من الفصائل، واستغرق عرض هذه القضية من تنظيم الدولة مساحة أكثر من غيرها، حتى أن تنظيم الدولة عقد لهذا الأمر سلسلة ملفات خاصة بلغت الآن ثلاثة ملفات نُشرت على مدى ثلاثة أعداد من مجلتهم الرسمية دابق، بعنوان (حلفاء القاعدة في الشام) نُشرت حلقاته تباعاً في العدد الثامن (ص7)، والعدد التاسع (ص6) والعدد العاشر (ص6). كما يفردون في مجلتهم الرسمية زاوية بعنوان (من أفواه الأعداء) وقد خصصوا بعض أعدادها لنقل نصوص من المقالات الغربية في السياسة الخارجية تستهدف أن توحى للقارئ وتقذف في روعه أن جبهة النصرة صحوات مواليين للقوى الغربية وأن بينهم وبين الأميركيان صفة ضد الشريعة، وكتبوا أيضاً مواد أخرى كلها تسير بهذا الاتجاه.

وهذا الاهتمام والغزارة في النصوص عن صحوية جبهة النصرة لا يمكن أن يكون حكماً عابراً، أو تفاوت اهتمام عشوائي، ولابد له من تفسير، وبحث في بواعته ومحركاته، والذي يبدو لي الآن أن غرض تنظيم الدولة من تكثيف عرض وبرهنة صحوية جبهة النصرة تحقيق هدفين:

الهدف الأول: هو الحرص على استقطاب واستمالة الشريحة التي مازالت متربدة بين الجبهة والدولة، وهو خط من الغلة لم يحسم أمره بعد، بحيث يتم إغلاق الشكوك والارتيابات لكل التيار الجهادي محل الخطاب في أن جبهة النصرة والقاعدة مرتدون، ذلك أنني لمست في خطاب تنظيم الدولة شعورهم أن جبهة النصرة هي التي تنافسهم في استقطاب كوادر التيار الجهادي التقليدي.

والهدف الثاني: تقوية قلوب جنود تنظيم الدولة في قتال جبهة النصرة وتنفيذ العمليات الانتحارية بين صفوفهم، والإيمان في تكفير المخالف واستحضار شناعاته لتقوية قلوب الأتباع في قتاله من مسالكهم التي أشاروا لها في موضع آخر في بعض وصايا أمرائهم وسيأتي بيانه بإذن الله.

وأما استقطاب الأعضاء المنتسبين لجبهة النصرة فالذي يظهر لي الآن أن تنظيم الدولة لم يعد يعنيه هذا الأمر كثيراً، فقد طلق مداراة أتباع جبهة النصرة منذ انطفاء لحظة الانقسام، ومن ذلك مثلاً قول التنظيم:

(أما بعد أن تركهم -أي جبهة الجولاني- من كان في قلبه حبة خردل من خبر من الجنود، والتحقوا بصف الدولة الإسلامية، فلم يبق من جنودهم إلا أولئك الذين أشربت قلوبهم عجل الإرجاء والحزبية، بل موالة المرتدین ضد المسلمين) [مجلة دابق، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص72].

فمثل هذا التلب والقدح من تنظيم الدولة في جنود جبهة النصرة الحاليين، والحكم عليهم بأن قلوب جنود جبهة النصرة أشربت موالاة المرتدین ضد المسلمين، لا أظنه يعلنه من لايزال يأمل في استقطابهم والاستحواذ عليهم، وإنما يقوله من لبس لأمته لقتلهم.

ومن المؤكد أن القارئ لم يفته في هذا الشاهد الانتباه إلى احتراز تنظيم الدولة في الحد التاريخي لتكفير جبهة النصرة، فقبل إعلان تنظيم الدولة كانت جبهة النصرة غير مرتدة، وبعد إعلان تنظيم الدولة والانفصال بين الدولة والجبهة وانتهاء مرحلة هجرة بعض منسوبين النصرة للدولة، ابتدأت مرحلة الردة لدى النصرة، وصار كل من فيها مرتدین، باعتبارهم وقعوا في

الناقض الثامن وهو تولي الكفار ضد المسلمين، بل "أشربت قلوبهم موالة المرتدين ضد المسلمين" على حد تعبير التنظيم.

هذه بعض الشواهد حول الأوصاف الكفرية التي وصف بها تنظيم الدولة جبهة النصرة، وسيأتي شواهد أخرى إضافية بإذن الله في سياقات أخرى.

استباحة دماء وأموال مجاهدي "جيش الفتح":

جيش الفتح هو أحد مظاهر التكتلات والتوحدات بين بعض الفصائل المجاهدة في الشام، ومنطلقه من إدلب، ويضم جيش الفتح عدة فصائل منها (جبهة النصرة، أحرار الشام، جند الأقصى، جيش السنة، فيلق الشام، لواء الحق، أجناد الشام)، وقد صرّح تنظيم الدولة أن هذا التحالف بكل مكوناته هو صورة من صور "الصحوات" المرتدة، وأنه من من يتولى الكافرين ويظاهرون على المسلمين، وأنه يحكم بغير ما أنزل الله، ومن ذلك مثلاً:

يتحدث تنظيم الدولة عن "جيش الفتح" وأنه وقع في هذين الناقضين من نواقض الإسلام: تولي الكافرين والحكم بغير ما أنزل الله، فيقول:

(هذا "جيش الفتح" الذي تم تشكيله مؤخراً، والمدعوم من قبل طواغيت قطر وتركيا وآل سلول، والذي تغلب مؤخراً على بعض المناطق من ولاية إدلب: فهل حكمها بالشريعة؟ أم أنهم ما يزالون ممتنعين عن الكثير من أحكام الشريعة...، وواقع ولائي إدلب وحلب، وهذا المنقطتان اللتان يسيطر عليهما تحالف الصحوات، أنها غابات وحشية تحكمها قوانين الفصائل...، وحتى لو حكموا في بعض المسائل بالشريعة، فما تزال كثيرة من الأحكام القطعية الظاهرة خارجة عن شريعتها)[مجلة دايم، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص54-55]

ويوضح تنظيم الدولة بعض سياقات كون "جيش الفتح" جزء من الصحوات فيقول (ثلاث الردة، وهم تركيا وآل سلول وقطر، سرّبوا معونات إلى "جيش الفتح" وهو التحالف المشكّل حديثاً من فصائل أدمنت معونات الطاغوت...)[مجلة دايم، العدد التاسع، شعبان، 1436هـ، ص58].

ويشرح تنظيم الدولة في موضع آخر الآلية التي توزع بها معونات الطاغوت -كما يصفها- على جيش الفتح الذي يمثل أحد صور الصحوات، وكيف تصل المعونات إلى الفصائل المكونة لهذا الجيش، فيقول:

(طواغيت تركيا وقطر وآل سلول يدعمون فصائل "جيش الفتح" بالدعم المشروط...، ثم يوزع هذا الدعم بين كل الفصائل المشاركة في "جيش الفتح" بما فيها جبهة الجولاني)[مجلة دايم، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص66].

وتحثوا أيضاً عن هذا الدعم في موضع آخر.

حسناً، دعنا نسجل الآن هذه النتيجة، حيث أعلن تنظيم الدولة أن "جيش الفتح" أحد صور الصحوات، وأنه يتولى الكافرين ويتألق دعمهم ويحكم بغير ما أنزل الله، وأن هذا الدعم الطاغوتي يصل لكل الفصائل المشاركة في جيش الفتح، وبعض الفصائل المشاركة في "جيش الفتح" سبق أن حكم عليها تنظيم الدولة بالردة بعينها مثل أحرار الشام وجبهة النصرة، كما سبق عرض شواهد، وهذه الشواهد تفيد تأكيداً جديداً على تلك الأحكام السابقة.

ونحن هنا إزاء حكم إضافي ضمني على الفصائل المشاركة في جيش الفتح، مثل "جند الأقصى"، فمادام أن تنظيم الدولة حكم على جيش الفتح بكل فصائله بأنه يتلقى الدعم من الطواغيت وأنه تغلب على إدلب وحكم بغير ما أنزل الله، فهذا يعني أن "جند الأقصى" بحسب قواعد تنظيم الدولة هو أحد فصائل "الصحوات".

و هذا الحكم طبعاً ينسحب أيضاً على بقية الفصائل المشاركة في جيش الفتح (جيش السنة، فيلق الشام، لواء الحق، أجناد الشام).

و من الشخصيات القريبة من جيش الفتح د. عبد الله المحيسيني، رئيس مركز دعوة الجهاد في سوريا، و له علاقة مشاركة مع جيش الفتح وعلاقة جيدة مع بقية الفصائل، وقد عُرف من خلال مساعيه في حسم النزاع بين الفصائل بالمحكمة الشرعية المستقلة، وقد لفت انتباهي تصريح تنظيم الدولة بأن د. عبد الله المحيسيني هو أيضاً من رؤوس الصحوات في الشام، كما يقول التنظيم (داعم الصحوات عبد الله المحيسيني) [مجلة دابق، العدد التاسع، شعبان، 1436هـ، ص 59].

ـ استباحة دماء وأموال تنظيم القاعدة:

أوضح تنظيم الدولة مراراً عن اعتقاده أن تنظيم القاعدة وأميرها د.أيمان الظواهري وقعوا في نوافض الإسلام، وتحديداً الناقضين الأكثر دوراً في خطاب تنظيم الدولة وهم: تولي الكافرين والحكم بغير ما أنزل الله.

يتحدث تنظيم الدولة في سياق عرض أن د.أيمان الظواهري أمير تنظيم القاعدة وقع في هذين الناقضين "تولي الكفار" و "الحكم بغير ما أنزل الله"، فوالى الصليبيين والطاغيت والمرتدين والرافضة، وترك الحكم بالشريعة، فيقول:

(الظواهري تبني سياسات جديدة معارضة لسياسات المجاهد الشیخ أسامیة بن لادن، لذلك فإن الظواهري جعل أراضی الصليبيین في أمان، وجعل الطاغیت في أمان، وجعل طاغیت ما بعد الربيع العربي في أمان، وجعل طاغیت جماعة الإخوان في أمان، وجعل جیوش الربدة في أمان، وجعل عوام الرافضة وهمجهم في أمان...، بل تجاوز الأمر ذلك إلى أن صارت المصلحة الظاهرية هي في ترك تطبيق الشريعة) [مجلة دابق، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص 67].

تحتوي هذه الإدانة على محاولة لإثبات ناقضين من نوافض الإسلام طبقاً لأدبيات تنظيم الدولة، وقاموسهم ونمط تفكيرهم، الأول أن د.أيمان الظواهري أمير تنظيم القاعدة ظاهر الصليبيين والطاغيـت وجـیوشـهمـ والـمرـتـدـينـ والـبرـلـانـيـبـينـ والـرـافـضـةـ، أي كل أنواع الكفار المعاصرـينـ بحسب خطابـهمـ، والنـاقـضـ الثـانـيـ أنهـ تركـ الحـكـمـ بماـ أنـزلـ اللهـ تحتـ ذـريـعـةـ المـصلـحةـ.

وفي بيان رسمي لتنظيم الدولة يتلوه أبو محمد العدناني صرّح التنظيم بعدة نوافض للإسلام وقع فيها تنظيم القاعدة وأميرها د.الظواهري، منها عدم الكفر بالطاغوت، وعدم تكثير المشركين، وحاكمية الأكثريـةـ بدلاًـ منـ الحـكـمـ بماـ أنـزلـ اللهـ، وموالـةـ النـصـارـىـ وـأـهـلـ الـأـوـثـانـ، كماـ يـقـولـ تنـظـيمـ الـدـوـلـةـ:

(القاعدة انحرفت وتبذلت وتغيرت، إن الخلاف بين الدولة والقاعدة ليس على قتل فلان أو بيعة فلان أو قتال صحوات...)، ولكن القضية قضية بين اعوج ومنهج انحرف، منهج استبدل الصدح بملة إبراهيم والكفر بالطاغوت والبراءة من أتباعه وجهادـهـ؛ بمنـهجـ يـؤـمـنـ بالـسـلـمـيـةـ وـيـجـرـيـ خـلـفـ الأـكـثـرـيـةـ، منـهجـ يـسـتـحـيـ منـ ذـكـرـ الـجـهـادـ وـالـصـدـحـ بـالـتـوـحـيدـ، وـيـسـتـبـدـلـ أـلـفـاظـهـ بالـثـورـةـ وـالـشـعـبـيـةـ وـالـانـفـاضـةـ...)، وأنـ الرـافـضـةـ المـشـرـكـينـ الأـنـجـاسـ فـيـهـمـ أـقـوـالـ وـهـمـ موـطـنـ دـعـوـةـ لاـ قـتـالـ، لـقـدـ أـصـبـحـتـ القـاعـدـةـ تـجـريـ خـلـفـ رـكـبـ الأـكـثـرـيـةـ وـتـسـمـيـهـمـ الأـمـةـ فـتـدـاهـنـهـمـ عـلـىـ حـسـابـ الـدـيـنـ، وـأـصـبـحـ طـاغـوتـ الإـخـوانـ الـمـحـارـبـ لـلـمـجـاهـدـينـ الـحـاـكـمـ بـغـيرـ شـرـيـعـةـ الرـحـمـنـ يـدـعـىـ لـهـ وـيـتـرـفـقـ بـهـ، وـيـوـصـفـ بـأـنـهـ أـمـلـ الـأـمـةـ وـبـطـلـ مـنـ أـبـطـالـهـ...)، وـأـصـبـحـ النـصـارـىـ الـمـحـارـبـونـ وـأـهـلـ الـأـوـثـانـ منـ السـيـخـ وـالـهـنـدـوـسـ وـغـيرـهـمـ؛ شـرـكـاءـ الـوـطـنـ؛ يـجـبـ العـيـشـ مـعـهـمـ فـيـهـ بـسـلـامـ وـاـسـتـقـرـارـ وـدـعـةـ، كـلـاـ وـالـلـهـ!) [أـبـوـ محمدـ العـدـنـانـ، بـيـانـ بـعـنـوـانـ: ماـ كـانـ هـذـاـ مـنـهـجـنـاـ وـلـنـ يـكـونـ، مـؤـسـسـةـ الـفـرـقـانـ لـلـإـنـتـاجـ إـلـعـالـمـيـ، الدـقـيـقـةـ: 11ـ].

فـتـنـظـيمـ الـدـوـلـةـ فيـ هـذـاـ الـبـيـانـ الرـسـمـيـ يـؤـكـدـ قـضـيـةـ وـقـوعـ تـنـظـيمـ القـاعـدـةـ فيـ تـولـيـ الـوـثـنـيـنـ وـأـهـلـ الـكـتـابـ الـمـحـارـبـيـنـ وـالـتـعـاـيشـ معـهـمـ، وـتـرـكـ الـكـفـرـ بـالـطـاغـوتـ، وـتـحـكـيمـ الـأـكـثـرـيـةـ بدـلاـ منـ تـحـكـيمـ الـشـرـيـعـةـ، وـتـعـظـيمـ الـطـاغـيـتـ الـحـاـكـمـيـنـ بـغـيرـ الشـرـعـ، وـعـدـمـ

تكفير المشركين، وواحد من هذه النواقض فقط مسوغ لتكفير تنظيم القاعدة، فكيف بمجتمعها؟!

وثمة إشارة في هذا البيان لا أظنها إشارة عابرة، ذلك أن العدناني بعد أن فرغ من عرض هذه النواقض التي وقع فيها تنظيم القاعدة، والتنديد بها وبيان أنهم سيخالفونها قال:

(هذا منهجنا الذي لن نحيد عنه إن شاء الله، حتى ولو قاتلتنا القاعدة عليه) [أبو محمد العدناني، بيان بعنوان: ما كان هذا منهجاً ولن يكون، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، الدقيقة:14].

والحقيقة أن الإشارة للاستعداد لقتال "القاعدة" باعتبار وقوعها في نواقض الإسلام ورديتها وكفرها يبعد أن يُحمل على القتال بين القاعدة والدولة في الشام، لأن هذا سبق له أحداث ووقائع في الشام أصلاً، فإذا كان ذلك كذلك، فالذى أتوقعه أن هذه الإشارة من تنظيم الدولة إنما هي تمهيد لإعلان مقاتلة "تنظيم القاعدة" في كل بلدان العالم التي سيصلونها، أو التي يكون لتنظيم القاعدة فرع فيها.

ومما يعزز أن هذه الإشارة هي تمهيد لقتال تنظيم القاعدة في كل فروعه في العالم أن تنظيم الدولة بعد هذه الإشارة ببضعة أسابيع أصدر بياناً جديداً تضمن رسالة تهديدية لفروع القاعدة في العالم لكي تحدد موقفها وإنما ستدخل في هذا الحكم، في بيان رسمي لتنظيم الدولة ذكروا فيه لمز د.الظواهري لهم بأنهم خوارج أحفاد ابن ملجم، ثم قالوا:

(نطالب جميع أفرع القاعدة في كل الأقاليم ببيان رسمي و موقف واضح صريح: ما هو اعتقادكم في منهج الدولة الإسلامية؟ وما هو حكمكم عليها؟ هل هي من الخوارج الحرورية بل أشر؟ تناقض الناس وتستخدم التقية وتقاتل لأجل الحكم والمناصب وحالها مع قادة الجهاد كحال ابن ملجم؟ وأن منهجها ظلامي واجب على المسلمين حربه واستئصاله من الشام؟ بياناً تكتب فيه شهادتكم..، واعلموا أن صمتكم كلام) [أبو محمد العدناني، بيان بعنوان: عذراً أمير القاعدة، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، الدقيقة:29].

هذا يعني أن فروع تنظيم القاعدة في العالم ليس لها أمامها المطالبة التهديدية من تنظيم الدولة إلا ثلاثة أحوال: أن تعارض موقف د.الظواهري علينا فتسلم، أو أن تؤيد موقف الظواهري فينسحب عليها الحكم بالردة، أو أن تصمت فلا تصرح بموافقة ولا مخالفة، وفي هذه الحالة الثالثة فإن تنظيم الدولة لم يعذر الصامت، بل الحق الصامت بال موقف الرسمي للقاعدة، ونص صراحة بلغة فيها شيء من الإنذار الاستعلائي بقوله "واعلموا أن صمتكم كلام"! أي أن من صمت من فروع القاعدة في العالم فإن تنظيم الدولة سيعامله معاملة المرتد طبقاً لنواقض الإسلام التي ذكر أن د.الظواهري أمير القاعدة وقع فيها، أي سيعاملهم معاملة من ظاهر الكفار على المسلمين وحكم بغير ما أنزل الله.

وقد أكثر تنظيم الدولة من الإشارة إلى أن منهج د.أيمن الظواهري أمير تنظيم القاعدة يؤدي إلى تمكين الكفار والطاغيت وموالاتهم وعدم البراءة منهم، والحكم بغير ما أنزل الله، ومن نماذج هذه الإشارات:

في شهادة لأحد منسوبيه نشروها في مجلتهم الرسمية يقول فيها (أوقع الظواهري الكثير من الناس في حبائل فكره الموج المضاد للجهاد وحمل السلاح، ودعوته إلى منهج السلمية واتباع الحاضنة الشعبية، والتي أدت إلى تولي فرعونة جدد لبلاد الكنانة وغيرها من البلدان) [مجلة دابق، العدد السادس، ربيع الأول، 1436هـ، ص51]

وفي ذات هذه الشهادة أيضاً (ممارسين سياسة جديدة يدعوا إليها الظواهري ومن هم على شاكلته..، فلم يعد يرى الحق من الباطل، فأصبح يثنى على الطاغوت ويدعى له، ويذم الحق وأهله، مدمرًا بذلك تنظيم القاعدة) [مجلة دابق، العدد السادس، ربيع الأول، 1436هـ، ص51].

وذكر هذا المنتسب لتنظيم الدولة أنه كان مبادعاً للدكتور الطواهري أمير القاعدة إلا أن البيعة انتقضت لأن الطواهري يحكم بغير ما أنزل الله ولأسباب مماثلة، كما يقول في شهادته (كنت مبادعاً للدكتور الطواهري، ولكن لانتهاش شروط البيعة..، أما الطواهري فبرفضه لإقامة الأحكام الشرعية، بحجج واهية كالمصلحة المزعومة..) [مجلة دابق، العدد السادس، ربيع الأول، 1436هـ، ص53].

وقد ذكر هذا الشاهد -أيضاً- أن القاعدة لا تنكر الحكم بالطاغوت "الجرقا" (العدد6ص44) وأن القاعدة تعمل بالمصلحة الشرعية في نواقض التوحيد (العدد6ص45).

وفي تعليق آخر لتنظيم الدولة ينقلون فيها شهادة أخرى لأحد منتسبيهم يذكرون فيها أن الطواهري سبق أن أمر الجولاني بالالتحاق بالمرتدين، والأمر بالانضمام للمرتدين ردة في ذاتها، حيث يقول التنظيم في نقل هذه الشهادة (الطواهري أمر الجولاني بالانضمام إلى الجبهة الإسلامية المرتدة) [مجلة دابق، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص7].

وهذه الأمور التي ينسبونها للدكتور الطواهري أمير تنظيم القاعدة كلها تقريراً تدور حول هذين الناقضين من نواقض الإسلام: تولي الكفار، والحكم بغير ما أنزل الله.

وكثرة هذه الإشارات تدل على إرادة جادة ووعية لدى تنظيم الدولة لجسم الاعتقاد لدى شريحته محل الخطاب بأن تنظيم القاعدة تنظيم مرتد خارج عن الإسلام مباح الدم والمال.

استباحة دماء وأموال طالبان والملا عمر:

طالبان حركة جهادية معروفة ظهرت في أفغانستان عام 1994م، وحكمت كابول عام 1996م، ثم شنت الولايات المتحدة الأمريكية الغزو عليها عام 2001م، في أحداث مشهورة ذائعة، وانسحبت الحركة إلى موقع محدودة، ثم سعت لاستعادة المناطق وتقع لها بعض الاشتباكات، وتقوم الحركة ببعض الأدوار السياسية الدبلوماسية حالياً.

وقد نشر تنظيم الدولة أن طالبان وقعت في ناقضين من نواقض الإسلام، وهما تولي الكافرين والحكم بغير ما أنزل الله. يصف التنظيم موالاة طالبان للطاغيت بقوله (الملا عمر الذي دعا لحمد وتميم آل ثاني، ونصح "الحكام المسلمين" الطاغيت، بلسانه ولسان إمارته..) [مجلة دابق، العدد السادس، ، ص24]

وعرض تنظيم الدولة مشهد افتتاح المكتب السياسي لطالبان في الدوحة وعلق قائلاً (طالبان تحت ظلال الطاغيت) [مجلة دابق، العدد التاسع، شعبان، 1436هـ، ص62].

وفي شهادة لأحد منتسبيهم أوردها التنظيم فيها أن الملا عمر أمير طالبان يحترم المواثيق الطاغوتية ويتبنى الوطنية والقومية الوثنية، كما ورد فيها (أصدرت مجلة الصمود الناطقة بالعربية على لسان الأمير الملا محمد عمر بياناً يخاطب الأمة بمناسبة عيد الفطر 1433هـ...، وينادي بلهجة وطنية قومية، وكذلك احترام المواثيق الدولية والحدود) [مجلة دابق، العدد السادس، ربيع الأول، 1436هـ، ص46].

والحقيقة أن وصف الملا عمر أمير طالبان بأن قتالهم هو قتال وطني وقومي، وهذا القتال رايته كفرية عندهم، فإن هذا كثير في الخطاب الرسمي للتنظيم. [انظر مثلاً: مجلة دابق، العدد السادس، ص24-25].

وفي ذات هذه الشهادة عن "القاعدة في وزيرستان" ينقل شاهدهم أن الأحكام المطبقة ليست هي أحكام الشريعة بل الأحكام الجاهلية الطاغوتية كما ورد في مجلتهم (وللأسف الشديد فقد كانت الأحكام العشائرية هي السائدة، تَسوسُ القوم أصحاب

وفي ربيع الثاني 1436 هـ/يناير 2015م أُعلن تنظيم الدولة تمدده إلى أفغانستان وإنشاء "ولاية خراسان" وعيّن عليها حافظ سعيد خان واليًا، ونائبه أبي طلحة عبد الرؤوف خادم، ثم بعد أسبوعين بالضبط من هذا الإعلان قُتل عبد الرؤوف خادم أبو طلحة هذا، وكان قبل الالتحاق بتنظيم الدولة زعيماً في حركة طالبان، فنشر تنظيم الدولة ترجمة تفخيمية له ذكروا فيها شيئاً من سيرته وعرضوا فيها بعض المطالب والطعون في عقيدة طالبان، حيث يقول تنظيم الدولة:

(بعد أن أفرج عن أبي طلحة عبد الرؤوف خادم من سجنه في كابل التحق مجدداً بحركة طالبان وأصبح عضواً في مجلس شوراهم، وتم تعينه واليًا على أربع عشرة ولاية أفغانية، وكان نشيطاً في الدعوة إلى الله، يدعو الناس إلى عقيدة التوحيد، ونتيجةً لذلك تم فصله لاحقاً من منصبه كواحد باعتبار أن عقيدة التوحيد تتعارض مع العقيدة الديوبندية التي تتبناها أغلبية القيادة الطالبانية..)[مجلة دايق، العدد الثامن، جمادى الآخرة، 1436 هـ، ص30].

هذه طبعاً رواية تنظيم الدولة، وهي أن عبد الرؤوف خادم تم فصله من حركة طالبان برغم أنه ذو وزن فيهم بسبب دعوته إلى عقيدة التوحيد، وأن عقيدة التوحيد تتعارض مع عقيدة طالبان، بينما متابعون آخرون ذكروا أنه سبق أن ثار نزاع بين عبد الرؤوف خادم وقيادة طالبان بسبب تهميشه وتقليل مناصبه، فانشق عنهم وبدأ بتشكيل كتلة جديدة واتصل بتنظيم الدولة واتفق معهم أن يكون نائباً في الولاية المزعزع إنشاؤها وكان أكثرهم فاعلية في استقطاب الأعضاء لمبايعة تنظيم الدولة، ونحن لا يهمنا هنا البتة تحقيق بواعث أبي طلحة عبد الرؤوف خادم في علاقته مع طالبان، وإنما يعنينا هنا فهم موقف تنظيم الدولة من طالبان، وأنهم يعرضونهم باعتبار أن "عقيدة طالبان تتصادم مع عقيدة التوحيد".

وينقل تنظيم الدولة في هذه الشهادة أيضاً أن أفراد طالبان واقعون في الشركيات، وأن حركة طالبان لا تعني بتصحيح ذلك، وأن هذه الحالة ماتزال موجودة إلى الآن، كما ورد في هذه الشهادة (كنا نرى جماعة الطلبة في أفغانستان مقصرين في تعليم أفرادهم التوحيد، ووقوع الكثير منهم في مسائل شركية، كالطوف بالقبور والتلائم والتعويذات، والتي مازالت موجودة إلى الآن)[مجلة دايق، العدد السادس، ربيع الأول، 1436 هـ، ص41].

ولما أُعلن تنظيم الدولة ولاليته في أفغانستان وكان بعض المائلين لهم في أفغانستان يرغب في بيعتهم لكنه استشكل أن بيعهم وثمة إمارة وبيعة للملا عمر في نفس البلد، فبعثوا لمجلة دايق بالسؤال، فكتب أحد منسوبي التنظيم جواباً ضمّنه ما يراه تأصيلاً شرعاً لانتقاض بيعة وإمارة الملا عمر، ووجوب بيعة من يرونـه الخليفة أبي بكر البغدادي في أفغانستان، وسمى هذا الجواب "الفتوى الخراسانية"، ونشر في مجلتهم الرسمية دايق في العدد العاشر منها، وجعل **المُجِيبُ** الاعتبار الأساس في انتقاض هذه البيعة عدة أمور منها: أن الملا عمر ليس قرشي والبغدادي قرشي ومن شرط الخلافة القرشية، وأعاد المُجِيبُ الكلام حول أهمية هذا الشرط، وذكر أيضاً أن إمارة الملا عمر قُطْرية في بلد خاص وإمامـة البغدادي عامة لكل الأرض، وأن إمارة الملا عمر إمارة اضطرارية مؤقتة لغياب الإمامـة العظمى، وأشار المُجِيبُ إشارة عابرة إلى أن بيانات الملا عمر التي يصرح فيها بـقُطْرية مشروعـهم تعارض البراءة من المشركـين والتصـريح بـعداوتـهم وجـهـادـهم.

والحقيقة أنه بالرغم من أن المجلة نشرت هذا الجواب إلا أن الفريق العلمي المشرف على تحرير المجلة لم يُرق له هذا الجواب تماماً، حيث رأه تقصيراً في عرض الأولويات إذ تحدث **المُجِيبُ** بشكل مركزي عن شرط القرشية وهو شرط فروعـي، وترك القضايا الكبرى وهي ردة طالبان والملا عمر ووقعـهم في نواقضـ الإسلام، ولذلك فإن الفريق المشرف على التحرير علـق على موضع الإشارة إلى البراءة من المشركـين والتصـريح بـعداوتـهم بقولـه (الحقيقة أن هذه القضايا أعظم أهمية من كون إمارة الملا عمر قُطْرية أو غير قرـشـية)، ثم أحـالـوا القـارـئـ إلى مصدر إضافـي لتوضـيـحـ هذهـ النـواـضـعـ الكـبـرـيـ لـإـمـارـةـ).

الملا عمر فقالوا (للقراءة الإضافية انظر مقالة: فاضحة الشام وكسر الأصنام)[مجلة دابق، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص20].

لا أخفى القارئ الفاضل أنني تلهفت كثيراً للاطلاع على هذه المقالة التي أحالنا إليها تنظيم الدولة للاطلاع على هذه النواقض الكبرى في إمارة الملا عمر وطالبان التي يرونها، وقد رجعت إلى هذه المقالة المحال لها، والحقيقة أنني لم أجدها معنى جديداً، وإنما زيادة تفصيل لما سبق أن عرضه التنظيم عن ردة وكفر طالبان وتنظيم القاعدة، حيث اعتبر كاتب المقالة المحال لها أن أبناء طالبان يتولون المرتدين وأن جنود طالبان مشركون شركاً أكبر، ويحكمون بغير ما أنزل الله، كما يقول الكاتب:

(وأكثر أمرائهم -أي طالبان- لهم علاقات مع طوائف التجسس المرتدة في باكستان (الـ "آي إس آي")، وكثير من جنودهم على شرك أكبر مخرج من الملة بدعاء الأموات والاستشفاع بهم والذبح لهم والسجود لقبورهم، وكثير من طوائفهم يحكمون الآن بالفصول القبلية دون الأحكام الشرعية في مناطق يدعون فيها التمكين..)[مقالة "فاضحة الشام"، المحال لها في مجلة دابق، العدد العاشر، ص20].

واعتبر الكاتب أن بعض أنصار تنظيم الدولة يخطئون حين ينتقدون إمارة وبيعة الملا عمر وطالبان بمسألة القرشية والقطريّة وموت الأمير باعتبارها مسائل فقهية فروعية، وأن الأصل والأساس في انتهاض بيعة وإمارة الملا عمر وطالبان هو ردتهم وكفرهم وخروجهم من الإسلام، وcas الكاتب خطأ بعض أنصار تنظيم الدولة هاهنا على رجل مسلم يريد أن يتزوج امرأة مرتدة ولها شبهة رضاع به، فأخذ المفتى يبحث شبهة الرضاع وترك الأعظم وهو كون المرأة مرتدة أصلاً، كما يقول الكاتب:

(من الخطأ المكرر بين أنصار الدولة الإسلامية أن يطعنوا في شرعية "إمارة" طالبان بأمور فرعية ويتركون الأصول! فيذكرون حفأ أن الملا عمر غير قرشي... وأن الملا عمر لم يدع الإمامة العظمى... وأنه مقتول والكلام المنسوب إليه مكذوب عليه...، فهذه الأمور كلها فرعية، كما لو قيل: هل يجوز للرجل أن يتزوج امرأة مرتدة من قريته علماً أن أمه تشهد أنها قد أرضعت امرأة من القرية خمس رضعات، ولا تعرف إن كانت هي الرضيعية أو غيرها، ولا تذكر إن كانت الرضعات مشبعات أو لا، فيتكلّم المفتى ويدخل في مسائل فرعية حول عدد الرضعات والشك والظن وغلبة الظن واليقين وشهادة المرأة وشهادة الأم وصفات القرية وصفات الرضاعة إلخ... ويترك أهم ما في السؤال وهو أن المرأة مرتدة!) [مقالة "فاضحة الشام"، المحال لها في مجلة دابق، العدد العاشر، ص20].

ثم قاس الكاتب استعدادهم لمقاتلة تنظيم القاعدة وطالبان في أفغانستان على قتال تنظيم الدولة للصحوات، كما يقول الكاتب:

(لا تعارض بين قتال الصليبيين وقتل الموالين للطاغيت، فكما أن الدولة الإسلامية قاتلت الصليبيين في العراق وقاتلت الصحوات...، كذلك ستقاتل الصليبيين في خراسان وتقاتل طوائف طالبان) [مقالة "فاضحة الشام"، المحال لها في مجلة دابق، العدد العاشر، ص20].

ومع أن تنظيم الدولة أشار ماراً إلى احتمال موت مبكر وغير معن للهلا عمر، إلا أنه استدرك أنه حتى على فرض موته "فإن الأقوال المنسوبة إليه أخيراً لها أصل في رسائله القديمة ولكن ليس بالدرجة التي نراها اليوم" [مجلة دابق، العدد السادس، ص25].

– هل بقي فصيل مجاهد في الشام يُستثنى من الحكم بالردة واستباحة الدم والمال؟

مع كثرة أحكام تنظيم الدولة بکفر المجاهدين في الشام ورديتهم واستباحة دمائهم وأموالهم إلا أنها أحكام على أعيان من الفصائل والتكلات، فلذا قد يتساءل الباحث: هل هناك فصائل جهادية في الشام خارجة عن هذه الأحكام؟ هل هناك مشروعات جهادية في الشام استطاعت النجاة من نوافض الإسلام طبقاً لرأي تنظيم الدولة؟

الحقيقة أن تنظيم الدولة لم يدع الأمر للاستنتاج والتوقع، بل أعلن أحكاماً عامة تشمل "كل" المشروعات الجهادية في الشام، وكل الفصائل في الشام، وأن كل المجاهدين في الشام من غير تنظيم الدولة واقعون إما في تولي الطواغيت أو الحكم بالطاغوت، أو يجمعونهما، ولهذا شواهد متعددة وإشارات كثيرة، ومن ذلك مثلاً أن تنظيم الدولة يحصر كل المجاهدين المخالفين له في الشام في أحد مشروعين: إما مشروع علماني كافر أو مشروع استخباراتي مرتد، كما يقول التنظيم في بيان رسمي يتلوه أبو محمد العدناني:

(إن مشروعنا هذا يقابله مشروعان، الأول : مشروع دولة مدنية ديمقراطية، مشروع علماني تدعمه جميع ملل الكفر قاطبة..، ونقول لأهل هذا المشروع.. لتعلموا أن بينكم وبين دولة لا تحكم بشرع الله في الشام بحار من الدماء وجبال من الجماجم والأشلاء..، وأما المشروع الثاني: فمشروع دولة محلية وطنية تسمى إسلامية، تدعها أموال وفتاوي علماء آل سلول وحكومات الخليج، وتهنّدّسُ مشروعها المخابراتُ، ولا ضير أن تكون حكومتها طويلة اللحي قصيرة الثوب..، إن هذا المشروع ظاهره إسلامي، وحقيقة مشروع دولة وطنية، تخضع للطاغيت في الغرب وتتبع لهم في الشرق) [أبو محمد العدناني، بيان بعنوان: لن يضروكم إلا أذى، مؤسسة الفرقان، الدقيقة: 22].

والنتيجة التي نستخلصها من هذا التوصيف الذي يذكره تنظيم الدولة في بيانه الرسمي أن كل المشروعات الجهادية في الشام هي مشروعات ردة وكفر وخروج عن الإسلام، إما جهاد علماني صريح يدعمه الغرب الكافر، أو جهاد علماني غير صريح يُظهر اللحية ويضمّر حكم الاستخبارات المرتد، وهذا توصيف شمولي لا يخرج منه أي مشروع جهادي في الشام.

وهذا التصنيف الثنائي لأصناف الدول المرتدة إلى: دولة ديمقراطية صريحة في علمانيتها، ودولة وطنية تظهر الحكم بالشريعة وتبطن الردة عن الإسلام؛ ليس توصيفاً عابراً، بل رأيته يتكرر في الخطاب الرسمي للتنظيم، وفي بيان رسمي آخر للتنظيم يتلوه أبو محمد العدناني يقول:

(إن أمريكا واليهود يحاربونكم بورقتين، إذا ما احترقتا ستجدون أنفسكم في مواجهة اليهود والصلبيين بلا وكلاء؛ الأولى: دولة مدينة ديمقراطية على غرار دول الطواغيت في بلاد المسلمين، والثانية: دولة وطنية تسمى إسلامية على غرار مملكة خائن الحرمين وآل سلول) [أبو محمد العدناني، بيان بعنوان: والرائد لا يكذب أهله، مؤسسة الفرقان، الدقيقة: 5].

وهكذا عرضت المجلة الرسمية للتنظيم "دابق" لهذين النمطين مراراً، انظر مثلاً [مجلة دابق، العدد العاشر، ص 58].

وقد اعترض عليهم بعض المعارضين بأن الفصائل الجهادية التي تسمونها صحوات لديها هيئات ومحاكم شرعية، فيجيب تنظيم الدولة بأن كل الفصائل تحكم بالطاغوت، حتى من لديها هيئات شرعية، كما يقول التنظيم (أراضٍ فيها هيئات يطلقون عليها اسم "هيئات شرعية" للايهام بشرعيتها، بينما هي في الحقيقة هيئات مفتونة لا تحكم بالشريعة إلا في أحكام قليلة..) [مجلة دابق، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص 52].

والخلاصة من هذا التوصيف أن تنظيم الدولة يعتقد أن كل هيئات الشرعية والمحاكم الشرعية التي أقامتها الفصائل الجهادية في الشام أنها كلها تحكم بالطاغوت، بلا استثناء.

ويوضح تنظيم الدولة صراحة وبكل وضوح وشفافية مع القارئ أنه لا يوجد في الشام أي جماعة جهادية سلمت من هذين الناقضين من نواقض الإسلام، وهما تولي الكفار ومظاهرتهم على المسلمين، والحكم بغير ما أنزل الله، فكل الجماعات والفصائل الجهادية في الشام إما واقعة في أحد هذين الناقضين أو تجمعهما، كما يقول التنظيم على سبيل الفرض الجدلي:

(لو كان يوجد طائفة تحكم بالشريعة، وهي خارج تحالف الصحوات، منعزلة عنه متبرئة منه، تحمل العداوة تجاهه..، وقاتللت الدولة الإسلامية زاعمة أنها دولة جائرة، فإن هذه الطائفة حكمها من جنس حكم البغاء، ولكن هذه حالة افتراضية لا توجد في الشام)[مجلة دايم، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص54].

والمهم في الأمر أن تنظيم الدولة يعتقد أن كل الفصائل الجهادية وكل المشروعات الجهادية في الشام والغة في نواقض الإسلام، إما في تولي الطواغيت، أو في الحكم بالطاغوت، ولا يستثنى منها أية جماعة جهادية.

أي باختصار شديد: بحسب اعتقاد تنظيم الدولة فإن كل المجاهدين في الشام كفار.

استباحة دماء وأموال ثوار ومجاهدي ليببيا:

أعرف أن بعض القراء غير متابعين لتطورات الأحداث الأخيرة في ليببيا، لذلك سأضطر لعرض موجز مكثف للمشهد الإجمالي القتالي والسياسي في ليببيا، ثم سنستعرض سوياً موقف تنظيم الدولة.

في منتصف فبراير 2011م اندلعت الثورة في ليببيا، وتشكلت خلال ذلك كتائب للثوار كثيرة تتوزع في مدن ليببيا، وما زالت كتائب الثورة المنتشرة تجاهد النظام حتى أسقطته، وقتل القذافي في أكتوبر 2011م، ونشأت آنذاك أول مؤسسة سياسية للثوار وهي "المجلس الوطني الانتقالي"، ثم سلم بدوره السلطة إلى "المؤتمر الوطني العام" في أغسطس 2012م، ثم تم تشكيل "مجلس النواب الليبي" في أغسطس 2014م ليكون خلفاً للمؤتمر الوطني العام، ثم في نوفمبر 2014م قضت "المحكمة العليا" في ليببيا بحل مجلس النواب، فرفض مجلس النواب قرار الحل، وعاد "المؤتمر الوطني العام" للحضور، ودخلت ليببيا في أزمة سياسية ما تزال عالقة انقسمت فيها إلى سلطتين، سلطة موالية للمؤتمر الوطني العام في العاصمة طرابلس، وسلطة موالية لمجلس النواب المنحل يعترف بها الغرب ومركزها طبرق.

وخلال الثورة وما بعدها بدأت كتائب الثورة المنتشرة في المدن تلتزم في تكتلات أكبر وأعم، ومنها: قوات (ثوار فجر ليببيا) وهو تكتل يضم كتيبة درع ليببيا الوسطى وغرفة ثوار ليببيا في طرابلس وثوار مصراته وغيرها، ومنها كذلك: قوات (مجلس شورى ثوار بنغازي) الذي يجمع عدة فصائل مثل أنصار الشريعة ودرع ليببيا-1 وكتيبة السحاتي وكتيبة شهداء 17 فبراير، ومنها أيضاً (مجلس شورى ثوار درنة) وهو تحالف يضم عدة كتائب ركناها الأساس هو "كتيبة شهداء أبو سليم".

ومن أقدم الجماعات الجهادية المشهورة في ليببيا (الجامعة الإسلامية المقاتلة بليبيا) ولها تاريخ طويل قبل الثورة، حيث تأسست في التسعينيات مكونة من الشباب الليبي الذي قاتل في أفغانستان، وسُجن أكثرهم، ثم بعد سلسلة حوار مع السلطة أفرج عنهم على دفعات، ولما قامت الثورة شاركت كوارد هذه الجماعة في الثورة بسبب خبراتهم القتالية، بل إن أمير "الجامعة الليبية المقاتلة" عبد الحكيم بلحاج هو الذي كان قائداً للمجلس العسكري في طرابلس أثناء الثورة حتى تحريرها، وهو من قاتل في أفغانستان، وسُجن في ليببيا ست سنوات من 2004م إلى 2010م.

وكل هذه الكتائب والتكتلات ذات طابع إسلامي، وكتلتها الصلبة مرتبطة بهويات جهادية وحركية معروفة ولسنا في موضع تفصيلها وتقديرها.

وبتاريخ مايو 2014م أُعلن اللواء خليفة حفتر –الموالي لمجلس النواب الليبي المنحل– بدء حملة أسموها "عملية الكرامة"، والتي أُعلن أن هدفها تطهير البلاد من المتطرفين والجماعات المسلحة، فيما رأى مخالفوه أن هذه العملية هي محاولة انقلابية على الثورة من فلول النظام السابق، وأنها محاولة لتكرار ما وقع في دول الربيع العربي من طرف المهندسين التقليديين للثورة المضادة.

وقد نشب القتال فعلاً بين اللواء حفتر، ومعه قوى تابعة يرى خصومهم أنهم من فلول النظام مثل (كتيبة القعاع والصواعق وقاعدة بنينة)، وبين هؤلاء الثوار، وعلى رأسهم ثوار "فجر ليبيا" و"مجلس شورى ثوار بنغازي"، فأعلن مفتى الديار الليبية الشيخ د.الصادق الغرياني مساندته لقوى الثورة ضد اللواء خليفة حفتر والقوى التي معه، ونشر مقالاً مشهوراً في موقعه الشخصي (التناصح) وجاء في المقال:

(أحبي ثوار فجر ليبيا الشجعان، وثوار شورى بنغازي الأبطال...، والقتال الجاري بين القعاع والصواعق وقوات حفتر من جهة، وبين ثوار "فجر ليبيا" و"مجلس شورى ثوار بنغازي" من جهة أخرى؛ ليس صراعاً على السلطة، ولا هو تناحرٌ كما تسميه الحكومة..، وإنما هو قتالٌ بين الثوار، وبين أعداء الثورة من الانقلابيين في بنغازي وبقایا النظام السابق من كتائب القذافي..). [د.الصادق الغرياني، لا تسروا بين الفريقين في ميدان القتال، أغسطس 2014م].

وفي ثنایا هذه الأحداث كان تنظيم الدولة يسعى لتأسيس له وجوداً في ليبيا، واستقطب موالين له، وبدأ يحاول فرض سيطرته على هذه المناطق المحررة من نظام القذافي، مبتدئاً بمدينة درنة (شمال شرق ليبيا)، فحدثت بينه وبين الثوار الموجودين مسبقاً في هذه المناطق مواجهات، فبدأ تنظيم الدولة يعلن أن الجماعات الجهادية في ليبيا هي أحد صور "الصحوات" المررتدة، وبدأ أنصار تنظيم الدولة في ليبيا ينشرون على شبكات التواصل مقالات وموضوعات لإثبات أن مجاهدي درنة "صحوات"، ويستشهدون على ذلك بصور ونقول يحتجون بها على أن المجاهدين لهم علاقات مع الطواغيت فهم موالون لهم وبالتالي هم "صحوات".

يقول تنظيم الدولة مبيّناً أن قوات "فجر ليبيا" ومجاهدو "الجامعة الإسلامية المقاتلة" الذين كانوا مشاركين في الجهاد الأنفاغاني، أنهم ارتدوا عن الإسلام، بسبب علاقتهم بالديمقراطيين، كما يقول التنظيم: (بعض الفصائل المنتسبة لقوات "فجر ليبيا" هم أدعية جهاد سابقين، بما فيهم الإسلامي الديمقراطي عبد الحكيم بلحاج وأعضاء آخرين سابقين من "الجامعة الإسلامية المقاتلة" بليبيا، أدعية الجهاد السابقين هؤلاء ارتدوا، والتحقوا بدين الديمقراطية) [مجلة دابق، العدد الثامن، جمادى الآخرة، 1436هـ، ص26].

بل يعتبر تنظيم الدولة أن "ثوار فجر ليبيا" نموذج للردة يقاس عليهم بفرض التشنيع، حتى أن تنظيم الدولة يعبر جبهة النصرة بأنها ستتصبح مثل "ثوار فجر ليبيا"، وهذا هو نهاية طريق الردة عندهم، كما يقول التنظيم:

(جبهة الجولاني وأشباهها سيجدون أنفسهم، عاجلاً أو آجلاً، بين أحد خيارات: إما أن يندمجوا في كيان واحد مع الفصائل المختلفة المدعومة من قبل الطواغيت بأسلوب مشابه لـ "فجر ليبيا"، أو ينتظروا الغدر على أيدي حلفائهم) [مجلة دابق، العدد التاسع، شعبان، 1436هـ، ص64].

ويشرح تنظيم الدولة كيف أن ظهورهم في ليبيا مِنْهُ من الله سبحانه إنقاذاً لأهل الإسلام لما اجتمعت فصائل الثوار على الردة والخروج من الدين فيقول:

(مع تصاعد حدة الأوضاع واستمرار فصائل الردة في قتال بعضها، فإن الله سبحانه يسرّ ظهور "الدولة الإسلامية" في

وبعد أن عرض تنظيم الدولة الواقع القتال بين كتائب الثوار واللواء خليفة حفتر، ذكر أن تنظيم الدولة سيقاتل الفريقين كلّيّهما لأنّهما كليّهما مرتدان عن الإسلام:

(تحت راية الخلافة المجاهدون في ليببيا كثّفوا حملتهم ضد كلا فريقي الردة، بعد أن خانت هذه الفصائل دينها وأمتها، ولا يحتاج المجاهدون أن يميّزوا بين أولئك الذين خانوا الإسلام بتبني كفر العلمانية، وأولئك الذين خانوا الإسلام بتبني كفر الديمقراطية، ذلك أن كلا الفصيلين دخلوا معسّر الكفر، قال الله "وَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَةً" [مجلة دابق، العدد الثامن، جمادى الآخرة، 1436 هـ، ص26].

وعرض تنظيم الدولة لعبد الحكيم بلحاج أمير "الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا"، وقائد المجلس العسكري بطرابلس أثناء الثورة، وقالوا عنه (المرتد عبد الحكيم بلحاج) [مجلة دابق، العدد الثامن، جمادى الآخرة، 1436 هـ، ص25].

وبما أن العالم اليوم كله -بالنسبة لتنظيم الدولة- هو أرض كفر وردة إلا مناطق نفوذهم؛ فقد اقترح التنظيم على أولئك الذين لا يستطيعون الهجرة إلى أرض الإسلام في الشام -أي مناطق نفوذ التنظيم في الشام- أن يهاجروا إلى مساحات نفوذهم الجديدة في ليببيا كما يقول التنظيم: (ليبيا اليوم أصبحت أرضاً مثالية للهجرة لأولئك الذين يواجهون صعوبة في أن يجدوا طريقهم إلى الشام، وخصوصاً لإخواننا وأخواتنا في أفريقيا) [مجلة دابق، العدد الثامن، جمادى الآخرة، 1436 هـ، ص26].

وختّموا هذا العرض بداعاء جاء من ضمنه سؤالهم الله أن يضع المرتدين تحت أقدامهم.

وفي بيان رسمي لتنظيم الدولة يتلوه العدناني يوجه فيه الخطاب إلى الثوار في ليببيا ويسمّيه "الصحوات" وبهددهم بالقتل والتنكيل، جامعاً في هذا الخطاب تهديد التيار الجهادي في أفغانستان وتهديد الثوار في ليببيا، كليّهما، قائلاً:

(ألم تعتبوا أيّها الفصائل والصحوات؟ ألم تعتبوا بقتال سلفكم للدولة الإسلامية منذ عشر سنين؟ وأين الفصائل التي قاتلت الدولة؟ وأين الصحوات؟ ألم تعتبوا يا فصائل ليببيا؟ ألم تعتبوا يا صحوات درنة؟ ألم تعتبوا يا فصائل خرسان؟ مالكم ولقتال الدولة؟ أيسّتهي أحدكم حفر قبره بيده؟ أم يرغب بقطع رأسه أو هدم بيته؟ .. أتظنون أنكم أشدّ بأساً من صحوات العراق؟ .. ألا تعظون بفصائل الشام وصحواتها؟ .. كفوا عن قتال الدولة أيّها الفصائل في كل مكان وتوبوا لربكم.. أما من يُصرّ على قتالنا: فلا يندين بعدها ولا يلطمّن، ولا يلومن إلا نفسه) [أبو محمد العدناني، بيان بعنوان: يا قومنا أجيّبوا داعي الله، مؤسسة الفرقان، الدقيقة: 17].

وكان قد أعلن تنظيم الدولة عن تنفيذه فعلاً لبعض العمليات في ليببيا ضد من يسمّيه "المرتدين"، ونشبت بين تنظيم الدولة وبين كتائب الثوار قتال ودماء، وخصوصاً في درنة، حيث أعلن "مجلس شورى ثوار درنة" أن تنظيم الدولة اغتال عدداً من قياداته (ناصر العكر، وسالم دربي)، ثم تظاهر الأهالي ضد تنظيم الدولة، وحمل عليهم "مجلس شورى ثوار درنة" فأخرجهم من المدينة في أيام معدودة بصورة لفتت انتباه المتابعين والمعلقين بخصوص ما يشاع عن قوة وصلابة تنظيم الدولة.

وأعلن "مجلس شورى ثوار درنة" عن تسمية المعركة مع تنظيم الدولة "معركة النهروان" إشارة إلى الاقتداء بالصحابة في قتال الخوارج، وأصدروا في هذا بيان متعدد منها على سبيل المثال بيان أصدره مجلس شورى درنة بعنوان "التحذير الأخير لغلاة التكفير"، وكان من أسباب صدور هذا البيان الأحداث التي جرت بمسجد فاطمة الزهراء في درنة، وهو بيان منشور على الشبكة، وتضمن هذا البيان الرد على تنظيم الدولة بأنّهم يبالغون في مناقب أنفسهم كما يقول البيان (وادعى أنّهم وحدّهم الحافظون لحدود الله، وأنّ ما سواهم من الجماعات لم يوجدوا إلا لحماية الطواغيت، ولم يبق في تزكيته لجماعته وازدرائه

بالمجاهدين إلا أن يتكلم بكلمة اليهود "نحن أبناء الله وأحباؤه" وهذا شأنهم في كل ساحات الجهاد.

وذكر البيان أن دعوى تنظيم الدولة أنهم يقومون بتحكيم الشريعة مجرد دعوى شعاراتية وشبّهوها بالحكومات العربية التي تدعى شعارات الإسلام، كما يقول البيان (أن دعوه بإقامة حكم الله دعوى كاذبة باطلة، وأشبه ما تكون بتمسح طواغيت العرب ببعض شعارات الإسلام، ليستخفوا بها أقوامهم).

ثم أخذ البيان في سرد أمثلة وصور كثيرة لانتهاك تنظيم الدولة لأحكام الشريعة في ليبيا، فيمكن مراجعة البيان لقراءة هذه الأمثلة.

وأما بخصوص أحداث مسجد فاطمة الزهراء في "درنة" فقد كتب عنها بعض ناقدיהם مقالات وأوراق مثل: (تسلیط الأضواء على ما فعله تنظيم الدولة بمسجد فاطمة الزهراء) و (سل الحسام لمواجهة أهل البغي والإجرام) ونحوها، وكلها منشورة على الشبكة أيضاً، وأجدد التبيه أن مواقف الناقدين هذه ليست موضع الحجة هنا، فإن المستند الوحيد في هذه الدراسة هو الوثائق الرسمية لتنظيم الدولة فقط، دون غيرها، وإنما ذكرنا هذه المواقف لمجلس شورى درنة كهامش إثرائي بغرض عرض نموذج من موقف المخالفين والناقدين في ليبيا.

انتهينا الآن من تصور موقف "تنظيم الدولة" في الحكم بردة وكره كل الثوار والمجاهدين في ليبيا إلا من بايعهم، وتشريع سفك دمائهم وسلب أموالهم، فلننتقل الآن إلى دراسة موقف تنظيم الدولة من المجاهدين في بلد مسلم آخر.

استباحة دماء وأموال حركة حماس وكتائب عز الدين القسام:

حركة حماس وذراعها العسكري كتائب عز الدين القسام من أشهر الحركات الجهادية السياسية الإسلامية العربية، وسبب تكفير تنظيم الدولة لحماس هو اعتقادهم أنها وقعت في ناقصين من نواقص الإسلام: تولي الكفار والحكم بالطاغوت، ومن اللافت في الكتابات المنتسبة لتنظيم الدولة أن لديهم توّراً ملماً تجاه أي منتسّب للجهاد لا يجزم بتكفير حماس، بل في بعض الأحيان تصبح هذه المسألة كأنها من مسائل الامتحان العقدي أو التعبير والتهكم في الداخل القتالي، ووّقعت مرّة أثناء البحث على بعض الردود والتراشق المتبادل في الداخل القتالي فرأيت بعض المنتسبين لتنظيم الدولة يشددون النكير على بعض المنتسبين لتنظيم القاعدة ويرون أنهم متميّعون لعدم جزّهم بـكفر وردة حركة المقاومة الإسلامية (حماس).

وقد عرض تنظيم الدولة لأحداث مخيّم اليرموك وفصيل أكناف بيت المقدس ومشهد اجتماع هنية بخامنئي وعلقوا بالقول (قائد حركة حماس المرتد إسماعيل هنية) [مجلة دابق، العدد التاسع، شعبان، 1436هـ، ص 67].

وفي العدد الأول من مجلة دابق شرحاً مراحل الخلافة طبقاً لنظرهم، وعرضوا ما يرونها انحرافات دخلت التيارات الجهادية، وذكروا منها على سبيل التعريض (أحدّهم أخيراً اعتبر الطواغيت مثل محمد مرسي وإسماعيل هنية أنهم أمل جديد للأمة) [مجلة دابق، العدد الأول، رمضان، 1435هـ، ص 20].

كما عرضت المجلة أيضاً مشهد اجتماع لخالد مشعل -رئيس المكتب السياسي لحركة حماس- مع أمير قطر محمود عباس ووصفتهم بأنهم (طواغيت فلسطين وقطر) [مجلة دابق، العدد التاسع، ص 68]، أي أنهم كلهم في مستوى واحد.

وفي أحد المواقع أشارت المجلة على سبيل التوضيح عن قضية الحكم بالطاغوت لدى حركة حماس (منهج حماس وحكمهم بالقوانين الوضعية) [مجلة دابق، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص 75].

والحقيقة أن هذا الموقف ليس جديداً، بل إن تنظيم الدولة بدأ يعلن هذا الموقف رسمياً منذ بداية تشكّله، حيث سبق أن

عرضه تنظيم الدولة قبل سبع سنوات، في فبراير 2008م، على لسان أميره السابق أبي عمر البغدادي، حيث سردوا عدداً من نواقض الإسلام التي وقعت فيها حماس، وذكروا منها (دخول العملية السياسية في ظل دستور وضعى، والاعتراف الضمنى بإسرائيل، وإظهار احترام قرارات الأمم المتحدة، والتحالف مع الأنظمة العربية المرتدة، وعدم الحكم بالشريعة بعد التمكين في غزة، وإطلاق حرمة الدم الفلسطينى،...)[أبو عمر البغدادي، بيان بعنوان: الدين النصيحة، مؤسسة الفرقان، الدقيقة: 10].

وملخص هذا أن تنظيم الدولة يعتقدون أن حماس وقعت في تولي الكفار وهم إسرائيل وإيران والأنظمة العربية المرتدة، ووقدت في الحكم بالطاغوت وهو في نظرهم الدخول في العمل البرلماني واحترام قرارات الأمم المتحدة وعدم الحكم بما أنزل الله في غزة.

أعلم أن القارئ في غاية الاستغراب أن يقال أن حماس تتولى إسرائيل، لكنني ملتزم بعرض ما يرونـه كما هو قبل أي نقاش وجواب.

وسلك البغدادي في هذا البيان المبكر استراتيجية تحريض بعض منتسبي كتائب عز الدين القسام للانقلاب على قيادتهم، فأظهر أنه يستثنى المخلصين في كتائب القسام لكنه يطالبهم كما يقول (ولولا ما وجدنا من سوء هذه القيادة وانحرافها عن الشريعة؛ ما كنا لندعو المخلصين من شباب القسام للانقلاب عليهم..)[البيان السابق، الدقيقة: 21]، وبسبب هذا الإشارة فقد ردت كتائب عز الدين القسام في حينه على بيان تنظيم الدولة، ووصف ناطق القسام الإعلامي كلمة البغدادي هذه بوصفين: أنها غلو في الدين ودعوة غبية.

والحقيقة أن هذه المحاولة المبكرة من تنظيم الدولة للوقاية بين مقاتلي كتائب القسام وإفساد ذات بينهم كانت في غاية الخطورة، لكن كفى الله أهل غزة شرها بفضلـه سبحانه، والله وحده يعلم لو أن أحداً من مقاتلي القسام تأثر بهذا البيان كيف كانت ستؤول الأمور للدماء بين المقاومين أنفسـهم في فلسطين بينما إسرائيل تتفرّج.

بل إن من أعجب أقدار الله أن تثمر دسائس السعاية والوشایة أحياناً نقىض مقصود صاحبـها، ذلك أن عدداً من المنتسبين لكتائب القسام في حماس كانوا آنذاك لا يصدقـون ما يشاع إعلامياً من أن تنظيم الدولة في العراق يقتل المخالفين له، وأن عنده غلواً في التكـفير والحكم بالردة على المناوئـين، وكانوا يظـنون أن هذا من تشـويه وسائل الإعلام المأـلوف تجاهـ الحركـات الجهـادية، فـلما صدر بيانـ البـغـدادـيـ هذاـ وـهـوـ يـصـفـ قـيـادـهـمـ الـجـهـادـيـهـ بـصـراـحةـ "ـبـالـخـيـانـهـ"ـ وـوـقـوـعـهـمـ فيـ أـسـبـابـ الـرـدـةـ وـالـكـفـرـ وـنـوـاقـضـ إـسـلـامـ،ـ وـيـزـرـعـ التـحـريـشـ بـيـنـهـمـ،ـ وـكـلـ قـيـادـهـمـ لـاـ تـخـلـوـ أـصـلـاـ إـمـاـ أـنـ يـكـوـنـ قـتـلـ هـوـ أـوـ أـحـدـ أـبـنـائـهـ تـحـتـ القـصـفـ الصـهـيـونـيـ،ـ فـحـيـنـذـاكـ أـيـقـنـتـ الـقـوـاعـدـ الشـبـابـيـةـ فـيـ كـتـائـبـ الـقـاسـمـ بـصـدـقـ ماـيـرـوـيـ عنـ الدـمـاءـ الـبـرـيـئـةـ الـتـيـ سـفـكـهـاـ تـنـظـيمـ الـدـوـلـةـ فـيـ الـعـرـاقـ،ـ وـهـذـاـ الجـدـلـ الدـاخـلـيـ فـيـ كـتـائـبـ الـقـاسـمـ روـاهـ أـحـدـ الـكـوـادـرـ الـقـسـامـيـ بـعـيـدـ صـدـورـ بـيـانـ تـنـظـيمـ الـدـوـلـةـ،ـ وـهـوـ الـأـخـ رـائـدـ سـعـدـ (ـأـبـوـ معـاذـ)ـ وـالـذـيـ شـغـلـ قـائـدـ لـوـاءـ غـزـةـ فـيـ كـتـائـبـ الـقـاسـمـ،ـ حـيـثـ كـتـبـ حـيـنـهـ "ـرـسـالـةـ إـلـىـ دـوـلـةـ الـبـغـدادـيـ"ـ فـيـ فـبـرـاـيـرـ 2008ـمـ،ـ وـهـيـ رـسـالـةـ بـلـيـغـةـ الـأـسـلـوـبـ.

وـهـذـاـ المشـهـدـ بـعـيـنـهـ وـتـفـاصـيـلـهـ كـامـلـةـ رـأـيـتـهـ يـتـكـرـرـ مـارـاـ فـيـ موـاطـنـ مـخـلـفـةـ،ـ فـكـمـ مـنـ رـجـلـ كـانـ يـحـسـنـ الـظـنـ بـهـمـ،ـ وـيـقـوـهـمـ أـنـ مـاـ يـنـسـبـ لـهـ مـنـ قـتـلـ الـمـخـالـفـينـ أـنـهـ مـنـ تـهـويـلـاتـ إـلـيـةـ الـإـلـعـامـ الـمـعـتـادـ،ـ فـلـمـ وـصـلـ نـارـ تـنـظـيمـ الـدـوـلـةـ إـلـىـ قـدـمـيـهـ تـفـطـرـ قـلـبـهـ وـرـأـيـ أـنـهـ قـدـ ظـلـ الضـحـيـاـ وـأـنـدـعـ لـلـجـنـاءـ،ـ وـأـمـاـ لـمـ تـطـورـ وـسـائـلـ الـاتـصالـ وـالـنـقـلـ الشـبـكـيـ وـصـارـ الـحـدـثـ يـتـواـطـأـ الـجـمـهـورـ عـلـىـ نـقـلـهـ وـالـكـتـابـةـ عـنـهـ وـتـحـلـيـلـهـ فـيـ سـاعـةـ،ـ وـرـأـيـ النـاسـ فـظـاعـاتـهـمـ الـتـيـ يـنـشـرـونـ أـكـثـرـهـاـ هـمـ بـأـنـفـسـهـمـ،ـ وـزـادـوـ فـيـ الـاسـتـعـلـانـ بـعـقـائـدـهـمـ فـيـ الـتـكـفـيرـ وـالـقـتـلـ،ـ فـقـدـ قـرـأـتـ لـعـدـدـ مـنـ الـمـتـابـعـينـ يـدـعـوـ إـلـىـ إـعادـةـ كـشـفـ وـاقـعـ تـنـظـيمـ الـدـوـلـةـ فـيـ الـعـرـاقـ وـظـلـمـهـ وـبـعـيـهـ وـعـدـوـانـهـ عـلـىـ الـجـمـاعـاتـ الـجـهـادـيـهـ الـعـرـاقـيـهـ الـتـيـ شـارـكـتـهـ الـقـتـالـ وـالـمـقاـومـةـ لـلـمـحتـلـ ثـمـ اـخـتـلـفـتـ مـعـهـ فـكـرـهـاـ وـنـكـلـ بـهـاـ بـصـنـوفـ التـقـتـيلـ،ـ بـلـ

صار بعض المتابعين اليوم يرى أن الإعلام لم يشوههم بل قصر في بيان جرائمهم، وأحسب أن عموم المتابعين والمراقبين هم من أصحاب هذا الموقف، وأما أهل الخبرة بهم قبل التجربة الشامية فقد كانوا أقل من القليل.

ـ إنفاذ موجب الحكم بالردة:

هذه الأكواام من أحكام الردة والتکفير للمجاهدين التي يقذفها تنظيم الدولة بالجرافات على قارئه ومستمعه، هل نفذوها فعلاً على الأرض، أم هي مجرد خطاب نظري؟

فقد يقول قائل صحيح أن هذه أحكام تکفیرية حروبية غالبة ويسعة، لكن لعلها مجرد لغة خطابية شرسه فقط، ولم ينفذوا مقتضى هذه الأحكام التکفیرية الغالية على الأرض؟

والحقيقة أن هذه الحاويات والصهاريج من أحكام الردة المفتوحة لم تكن كلاماً في الهواء، بل سلّو سكاکينهم على أعناق المجاهدين بمقتضاهما، وعمليات تنظيم الدولة في قتل المجاهدين وسلب أموالهم تحت يند الردة والصحوات لا تحصى كثرة، وكثير من هذه العمليات لا يخفيها تنظيم الدولة ولا يستسرّ بها، إلا قليلاً منها لاعتبارات خاصة، وهي الحالة التي يخشى فيها من شدة تشنيع الشريحة الجهادية محل الاستقطاب، وأما أكثر هذه العمليات فيعلنها ويفخر بها، وسأذكر بعض الأمثلة لقتالهم للمجاهدين ليس من واقع روایات الخصوم بل من واقع وثائق تنظيم الدولة ذاتها:

فمن ذلك أنهم نشروا في مجلتهم تقريراً عن قتالهم للمجاهدين ولم يجعلوا له عنواناً وصفياً محابياً، أو عنواناً يوحى بتآلهم لوقوع القتال بين المنتسبين للجهاد، بل وضعوا له عنواناً فخرياً يضج بالبهجة لقتل المجاهدين، حيث كتبوا هذا العنوان (حصد الصحوات) ونشروا تحته تقريراً عن مجزرة مروعة نفذوها في مجاهدي "الجبهة الشامية" والتي تضم من المجاهدين (الجبهة الإسلامية بحلب، حركة نور الدين زنكي، جيش المجاهدين، جبهة الأصالة والتنمية، تجمع "فاستقم كما أمرت")، وأشاروا أيضاً إلى جبهة النصرة، حيث يقولون مبتهجين في تقرير هذه المجزرة التي نفذوها في المجاهدين:

(في يوم 18 من جمادي الآخرة 1436هــ نفذ استشهاديان، وهما جراح الشامي وأبو بكر الكردي، هجمات على الصحوات في ريف حلب الشمالي، مستهدفين بذلك موقع مهمة في مارع وحوار كلس، حيث اخترقا موقع الصحوات التابعة للجبهة الشامية، واعملوا الخراب بينهم، هذه الهجمات وقعت خلال اجتماع للجبهة الشامية مع فصائل أخرى بما في ذلك جبهة الجولاني، لتوسيع حربهم ضد الدولة الإسلامية، وهذه العمليات نجحت في قتل ما يزيد على ثمانين من أفراد الصحوات وجرح العشرات منهم..)[مجلة دابق، العدد التاسع، شعبان، 1436هـ، ص28].

هذا نموذج واحد .. واحد فقط .. لكنه والله أليم ومحزن .. ذهب للجهاد يريد أن ينصر المسلمين ضد مجازر النصيرية.. فأعاد تنظيم الدولة صياغة قناعاته.. فصار يسفك دماء خيار الثوار والمجاهدين في سوريا.. ويفتخرون بذلك ويكتب الأرقام ببهجة.. لقد قتلنا ثمانين مجاهداً في سبيل الله! وأيضاً عشرات آخرين يسهرون الآن على أوجاع جراحاتهم!

أتذكر صور أولئك الشباب في الشام الذين كنا نراهم على الشاشات مهرولين لإخراج الأطفال من تحت الأنقاض يرددون "ما لنا غيرك يا الله" ويتحدون نظام بشار وبراميله المتفجرة.. هاهم بالعشرات يزهو ويتباهي تنظيم الدولة في بيانه الرسمي بأنه ألقاهم على الأرض جثثاً .. أكثر من (80) مجاهد في عملية واحدة فقط! والبقية أضعاف ذلك جرحى يئدون ليلهم.. واحر قلباهم على تلك الدماء الزكية البريئة.. يا رب أكرمهم وأنزل الصبر علينا وعلى أهليهم..

وفي حادثة قتلٍ أخرى للمجاهدين يعلنها تنظيم الدولة ويتباهي بها قائلاً (الدولة الإسلامية نجحت في قتل أمير جبهة النصرة لمنطقة شرق القلمون، وأمير جيش الإسلام لنفس المنطقة)[مجلة دابق، العدد التاسع، شعبان، 1436هـ، ص36].

يا الله .. قتل مجاهد يسمونه "نجاح"! وينشر هذا "النجاح" في وثائقهم الرسمية بلغة التمدد وعرض المأثر..

وفي موضع آخر يتحدث تنظيم الدولة بما يراه من مناقبه في قتل المجاهدين والثوار في ليبيا قاتلاً (ليبيا من البلد التي ذُكرت في التمدد الرسمي، وفيها أقوى تواجد للدولة الإسلامية، حيث توجد مدن كبرى تُدار بقيادة وجند فقط، ليبيا استقبلت مهاجرين من بلاد كثيرة، عدُّ منهم نفذ عمليات استشهادية ضد المرتدين، لقوية دولة الإسلام..، ومرةً أخرى فإن الدولة الإسلامية اقتلت المناهج في ليبيا -كما فعلت مع الأقطار المُبَايِعَة الأخرى- التي تبَعُ التحالف مع المرتدين -حلفاء الصليبيين- بأن أمرتهم باستهدافهم مباشرة)[31]

وليس المثير هنا فخرهم بأنهم نفذوا عمليات ضد المجاهدين في ليبيا، بل المثير حفأً أن أكدوا أن هذا منهجم في كل أرض يظهر لهم فيها موالي ومبَايِع، وهو قتل الجماعات المجاهدة الأخرى، باسم اقتلاع المناهج المخالفة.

ولا يكتفي تنظيم الدولة بأن يقوم هو بقتل المجاهدين، بل بدأ بمحاولة الوعي داخل الفصائل الجهادية نفسها، وتهبيج جنودهم على قتل أمرائهم، بل وتحريض الجنود على قتل الجنود في الجماعات الجهادية، كما يقول تنظيم الدولة في عدده الأخير في ختام رمضان 1436هـ:

(أخرجوا على أمرائكم في تحالف الصحوات وابحوثم.. فجر حزامك الناسف في جموعهم، واضرب برصاصك صدور جنودهم)[مجلة داير، العدد العاشر، ص64]

وقد سبق أن نقلنا أن تنظيم الدولة لا يفخر فقط بقتل المجاهدين المخالفين الذين يسميهم "صحوات"، بل يعلن أنهم يتلذذون بذلك ويجدون مذاقه الشهي في حلوقهم، كما قال التنظيم في بيان رسمي يتلوه العدناني: (فاعلموا أن لنا جيوشًا في العراق وجيشاً في الشام من الأسود الجياع شرابهم الدماء وأنيسهم الأشلاء، ولم يجدوا فيما شربوا أشهى من دماء الصحوات)[أبو محمد العدناني، بيان بعنوان: والرائد لا يكذب أهله، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، الدقيقة: 25].

والحقيقة أن مثل هذا المنهج في التعامل مع "المجاهد المخالف" باتهامه بالتحالف مع الكفار ضد المسلمين وإظهار الابتهاج والفرحة بقتله بعبارات مقرضة، ليس جديداً في سلوك تنظيم الدولة، فقد قال أبو عمر البغدادي الأمير السابق للتنظيم مخاطباً الجماعات الجهادية التي شاركته قتال المحتل ثم اختلفت معه:

(كلمتى الثانية: إلى الذين كنا نحسبهم ظاهرياً معنا في الميدان يقاتلون المحتل الكافر فإذا بهم وبعد إعلان "دولة الإسلام" يتحالفون مع الصليبي والرافضي لقتال رجال الدولة ويتركون عباد الصليب...، فعودوا لنا فإننا لن ننسى أنكم كنتم أصدقاء الأمس...، فإن أبىتم التوبة قبل القدرة عليكم: فوالله لقتل المرتد أحبُّ إلى من مئة رأس صليبي)[أبو عمر البغدادي، بيان بعنوان: وعد الله، مؤسسة الفرقان، الدقيقة: 33].

هكذا يخاطب التنظيم كثيراً من المجاهدين المخالفين في العراق بأن "قتل واحد منهم أحب إلى تنظيم الدولة من قتل مائة صليبي محارب"! والتهمة الجاهزة طبعاً أنهم "صحوات" مرتدون.

ـ التطور والتجدد في نواقص الإسلام:

من الأمور التي لفت انتباхи كثيراً في وثائق "تنظيم الدولة" أن لديهم شيئاً من التجديد والابتكار والإبداع في "نواقص الإسلام" بحسب ما تفرضه احتياجاتهم والتحديات التي يواجهونها، لنشاهد سوياً هذه النواقص الثلاث وكيف تغيرت بحسب الحاجة:

كان تنظيم الدولة في بدايات أمره يكرر كثيراً أنه من دخل مع الأمريكان والروافض في حربهم علينا فقد كفر وارتد وحلّ لنا

دمه وماله لأنه ظاهر الكفار على المسلمين، وكانوا يرددون أنهم ما قاتلوا إلا الأمريكان والرافضة ومن تحالف معهم وظاهمهم صراحة ضد المجاهدين، هذه كانت الدعوى التي يظهرها تنظيم الدولة، وشواهد هذا التصوير كثيرة جداً، ولكن نعرض هنا الشاهد الذي يلخص فيه التنظيم تاريخهم مع أسباب القتال، حيث يقول التنظيم: (لقد قاتلنا بفضل الله وحده الصليبيين، والروافض، وأذنابهم من الصحوات والجيش والشرط؛ عشر سنين)[العدناني، الرائد لا يكذب أهله، مؤسسة الفرقان، الدقيقة: 16].

فتنتظيم الدولة هنا يقول أننا طوال عشر سنين كنا نقاتل الأمريكان والرافضة ومن ظاهمهم وأعوانهم على احتلال العراق ويسميه "الصحوات"، ويصف كل من قاتله بذلك.

ثم لما جاءت الأحداث الشامية وظهر "تنظيم الدولة" في المسرح السوري، بدأ يردد نفس التأصيل وأن القضية لا تقف على النظام النصيري ولكن هناك صحوات يتحالفون مع الطواغيت ضد المجاهدين، ثم ظهر أيضاً في ليبيا وكرر ذات الدعوى وأن القضية ليست في مقاومة فلول القذافي، بل هناك "صحوات" يتحالفون مع الطواغيت.

ولكن الحقيقة أن هذه الدعوى في الشام وليبيا برغم تكرارها يبدو أنها لم تعد مقنعة تماماً لشريحتهم محل الاستقطاب، وصارت بعض الفصائل في الشام وليبيا تقاتل تنظيم الدولة وهي تستثمر التطور في وسائل الاتصالات والشبكات وتذهب عن نفسها صراحة ضد أي دعوى بأنها متحالفة مع قوى خارجية، وتحاول أي مظهر رسمي قد يستغلها تنظيم الدولة في التشويش بأنهم صحوات يتحالفون مع الطواغيت، أي أنه جاء من يقاتل تنظيم الدولة -في الشام وليبيا- ولا يمكن للتنظيم إيهام الناس أنه صحوات يتحالف مع القوى الإقليمية والطواغيت والكافر ويظاهمهم على المسلمين.

وفي ظل هذا التحدي المزعج ابتكر تنظيم الدولة الناقض الجديد، وهو أنه: لا يشترط فيمن يقاتلنا أن يكون متحالفاً مع الطواغيت ومتولياً للكفار ومظاهراً لهم، بل يكفي مجرد قاتلنا ليكون المقاتل مرتدًا، والسبب في ذلك أننا الدولة الوحيدة التي تحكم بالشريعة، فمن قاتلنا لزم وآل انسحابنا عن أي شبر إلى أن يحكم بغير الشريعة، وعليه فقد رفعوا شعار "من قاتلنا فقد كفر"، كما يقول العدناني في إشارة واضحة إلى ورطة الشام وليبيا في الدفع بابتکار هذا الناقض:

(نجد دعوتنا لجنود الفصائل في الشام وليبيا، ندعوهم ليتفكروا ملياً قبل أن يقدموا على قتال الدولة الإسلامية التي تحكم بما أنزل الله، تذكر أيها المفتون قبل أن تقدم على قاتلها: أنه لا يوجد على وجه الأرض بقعة يطبق فيها شرع الله والحكم فيها كله لله سوى أراضي الدولة الإسلامية، تذكر أنك إن استطعت أن تأخذ منها شبراً أو قرية أو مدينة سيستبدل فيها حكم الله بحكم البشر، ثم اسأل نفسك: ما حكم من يستبدل أو يتسبب باستبدال حكم الله بحكم البشر؟ نعم، إنك تكفر بذلك، فاحذر فإنك بقتال الدولة الإسلامية تقع بالكفر، من حيث تدري أو لا تدري)[العدناني، بيان بعنوان: يا قومنا أجيروا داعي الله، مؤسسة الفرقان، الدقيقة: 14].

وهذا الناقض ركيـه تنظيم الدولة من مقدمتين، المقدمة الأولى: أن تنظيم الدولة يحكم بالشريعة كاملة، والمقدمة الثانية: أن من يقاتلهم لن يحكم بالشريعة، والمخالفون لتنظيم الدولة لا يسلموـن بكلـ المـقدمـتين أصلـاً، فيـرونـ أنـ تنـظـيمـ الـدـولـةـ منـ أـكـثـرـ الـكـيـانـاتـ الـعـسـكـرـيـةـ الـمـعاـصـرـةـ اـنـتـهـاـكـاـ لـأـحـكـامـ الـشـرـيـعـةـ، وـيـرـوـنـ أـنـ مـنـ يـقـاتـلـهـ مـنـ الـفـصـائـلـ أـقـرـبـ مـنـهـ أـصـلـاـ لـاحـتـرـامـ الـشـرـيـعـةـ وـتـعـظـيمـ الـنـصـوـصـ وـمـرـجـعـيـةـ أـهـلـ الذـكـرـ، بـلـ لـاـ نـسـبـةـ بـيـنـ تـنـظـيمـ الـدـوـلـةـ وـمـخـالـفـيـهـ فـيـ توـقـيرـ قـوـاعـدـ الـشـرـيـعـةـ وـالـتـوـقـفـ أـمـامـ نـصـوـصـ الـوـحـيـ فـيـ الـحـقـوقـ الـشـرـيـعـةـ.

وهكـذاـ حـاـوـلـ تـنـظـيمـ الـدـوـلـةـ أـنـ يـخـلـصـ مـنـ الـورـطـةـ الـجـدـيـدـةـ فـيـ ضـعـفـ قـدـرـةـ الـتـمـوـيـهـ بـصـحـوـجـيـةـ الـفـصـائـلـ الـتـيـ تـقـاتـلـهـ فـيـ ظـلـ

وسائل الاتصالات الحديثة، فابتكر ناقضاً جديداً وهو أنه "من قاتلنا فقد كفر" حتى لو لم تكن له أية علاقة البتة بالطاغيت، يكفي فقط أن يقاتلنا ليقع في أحضان الردة والخروج من الإسلام، وهذا الكلام مبني على لازم ومال موهوم أصلاً، وليس حتى لازماً معتبراً لزومه، وأهل السنة لا يكفرون باللازم والمآل المعتبر ما لم يتزمه صاحبه فضلاً عن اللازم والمآل الموهوم، وكان العداني سبق أن باهله ولعن نفسه إن كان تنظيم الدولة يكفر من قاتله أو يكفر باللازم والمآل، وقد شرحت هذه القضية في المقالة الأولى من هذه السلسلة بعنوان (رسالة للمنتسب لتنظيم الدولة).

المهم أن تنظيم الدولة توقع أن هذا الناقض المبتكر من نواقض الإسلام سيكون مريحاً له في استراتيجية تمده، فمن قاومه من الفصائل وقاتلته وله صلة بالقوى السياسية رفع تنظيم الدولة شعار "الصحوات" في وجههم، ومن قاومه وقاتلته وليس له علاقة ظاهرة بالقوى السياسية الإقليمية رفع شعار "من قاتلنا فقد كفر، لأن مقاتلتنا تفضي لتعطيل الشريعة".

ولكن بقي منطقة أخرى تحتاج لمعالجة، وهي الشريحة المحايدة والمستقلة، فليس المشهد مقتصراً على من يقاومهم وله علاقة بالقوى الإقليمية أو من يقاومهم وهو غير ذي علاقة بها، بل ثمة شريحة المحايدين في القتال بين تنظيم الدولة وبقية الفصائل، وهذه الشريحة صنعت مأزقاً نظرياً لتنظيم الدولة، فكيف يمكن الحكم عليها بالردة تمهيداً لاحتضانها لمشروع تنظيم الدولة وهي ليس لها علاقة بالقوى الإقليمية (صحوات) ولم تقاتل تنظيم الدولة ليتمكن إتزال قاعدة "من قاتلنا فقد كفر" عليها؟

والحقيقة أن هذه الشريحة سبق أن احتاط لها تنظيم الدولة، حيث فكر في محاولة إبداع ناقض جديد من نواقض الإسلام، لمعالجة هذه النازلة واستيعاب هذه المساحة، أعني مشكلة الشريحة المحايدة، فابتكر ناقضاً جديداً طرحة في خطاباته الرسمية وسمى هذا الناقض "انتهاء المنطقة الرمادية"، ورأيهم يحاولون من خلاله "تفعيل نصوص النفاق"، وبالتالي فقد وضعوا مخالفهم من المجاهدين في ثلاثة قوالب:

الأول: من قاومهم وقاتلهم وله علاقة بالقوى الإقليمية فهو صحوات مرتد، والثاني: من قاومهم وقاتلهم وليس له علاقة بالقوى الإقليمية فهو مرتد لقاعدة "من قاتلنا فقد كفر لافتضاء مقاتلتنا لتعطيل الشريعة"، والثالث: أي فصيل جهادي أو طرف يسلك معهم طريق الحياد والاستقلال فلا يقاومهم ولا يدخل معهم فهم رماديون منافقون.

يشير تنظيم الدولة للعلاقة بين مفهومهم للمنطقة الرمادية وبين النفاق بالقول (المنطقة الرمادية هي مخبأ المنافقين)[مجلة دابق، العدد السابع، ربیع الآخر، 1436 هـ، ص55]. وفي موضع آخر يقولون(المنطقة الرمادية هي المنطقة المفضلة للمنافقين)[مجلة دابق، العدد السابع، ربیع الآخر، 1436 هـ، ص62].

وتحت عنوان فرعي في مجلتهم الرسمية اسمه (المنطقة الرمادية المتلاشية) يقول التنظيم (المنظرین الجهادیین الفردیین وأشباه المجاهدین حاولوا أن يضعوا أنفسهم غير تابعين للدولة الإسلامية ولا للصحوات..) ثم يقول التنظيم من ضمن تعليقه على ذلك (من كان لديه إخلاص سيعرف أنه لا يوجد منطقة رمادية في هذه الحملة الصليبية على الدولة الإسلامية)[مجلة دابق، العدد الرابع، ذو الحجة، 1435 هـ، ص44].

وفي عدد لاحق من المجلة عادوا لهذا الموضوع بصورة أوسع، وخصصوا له أطروحة مستقلة بعنوان عام اسمه (اضمحلال المنطقة الرمادية)[مجلة دابق، العدد السابع، ص54-66]، وشرحوا تصورهم لهذا المفهوم في (12) صفحة، وجعلوه نظرية أعم وأدخلوا فيه ظواهر كثيرة في العالم.

يتحدث تنظيم الدولة في هذه الأطروحة كيف أن الظهور الأخير لتنظيمهم أنهى فكرة الاستقلال والحياد في الموقف منهم

بالقول (ثم جاء إعلان تمدد الدولة الإسلامية إلى الشام، وتبعه الإعلان اللاحق للخلافة، بما دفع المنطقة الرمادية إلى حافة الزوال الدائم..، ولم يبق لمسلم عنده في البقاء مستقلًا عن هذا الكيان..، إن موقف "الحياد" و "الاستقلال" الآن سوف يهلكه ذلك أنه ينطوي على كبيرة تقود إلى كبار أعظم حتى يقع في الكفر)[مجلة دايم، العدد السابع، ربيع الآخر، 1436هـ، ص55]. والأقواس الداخلية من أصل النص].

ويشرح تنظيم الدولة الفرق بين المنطقة الرمادية سابقاً ثم بعد ظهور تنظيمهم، وأنه بعد ظهور تنظيم جاء الدور على المستقلين والمحايدين، فيقول التنظيم:

(في الماضي كانت المنطقة الرمادية تتكون من المنافقين والمبتدعة الضالين والقاعدية عن الجهاد، وأما اليوم بعد ظهور الخلافة والحملة الصليبية اللاحقة فإن المنطقة الرمادية تشمل أيضاً الجماعات الإسلامية "المستقلة" و "المحايدة" التي ترفض الالتحاق بالخلافة، وتدعى أنها ستبقى مستقلة عن كلا المعسكرين)[مجلة دايم، العدد السابع، ربيع الآخر، 1436هـ، ص55. والأقواس الداخلية من أصل النص].

ويطبق تنظيم الدولة هذه النظرية فيما يسميه "انتهاء المنطقة الرمادية" على الواقع الجهادي الشامي فيقول:

(الfuscias المختلفة في الشام، كما وقع في العراق من قبل، بدأت في الانقسام إلى معسكرين: الدولة الإسلامية في مواجهة الصحوات المدعومة من قبل الصليبيين والحكومات المرتدة والحركات الضالة، أما أولئك الذين حاولوا التمسك بالمنطقة الرمادية لمصالح حزبية مختلفة؛ فقد وجدوا أن المنطقة الرمادية تذوي أمامهم بصورة متتسارعة، فجنودهم المخلصون تخلوا عنهم والتحقوا بالدولة الإسلامية، وأما مرضى القلوب من جنودهم فقد هرعوا لfuscias الصحوات)[مجلة دايم، العدد السابع، ربيع الآخر، 1436هـ، ص57].

ويواصل تنظيم الدولة الشرح والتوضيح معتقداً أن هدمهم للمنطقة الرمادية وافترار الناس في الموقف منهم بين "مؤيد مسلم" و "معارض مرتد" و "محايد منافق"، يماثل افترار الناس في الموقف من رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بين مؤمن وكافر ومنافق، كما يقول التنظيم: (إن هدم المنطقة الرمادية يسابه الافتراق الذي وقع بسبب رسالة الإسلام حين حملها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأول مرة، كما روى البخاري أن الملائكة ظهرت أمام النبي صلى الله عليه وسلم بينما كان نائماً وقالت "محمد فرق بين الناس".." [مجلة دايم، العدد السابع، ربيع الآخر، 1436هـ، ص55]).

وفي موضع آخر يؤكّد تنظيم الدولة هذا التشبيه بين موقف الناس من رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وموقف الناس من تنظيمهم بالقول (كما أن رسالة الإسلام التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم قسمت الجاهلية السابقة إلى معسكرين متضادين، فإن الدولة الإسلامية كذلك بتمدّدها إلى الشام قسمت fuscias المختلفة في الشام، بما فيهم أصحاب الرأيات الجاهلية والعمّية) [مجلة دايم، العدد السابع، ربيع الآخر، 1436هـ، ص56].

حسناً، إذا كان الأمر بمثيل هذا الوضوح فلماذا رفضت الجماعات الجهادية الانضمام لتنظيم الدولة؟ يرى التنظيم أن سبب ذلك ليس اعتقادهم أن تنظيم الدولة غلاة متلهكون للأحكام الشرعية، وإنما خوفاً من فقد سلطتهم، كما يقول التنظيم:

(العالم اليوم منقسم إلى طرفين: الخلافة من جانب، والصليبيون وأعوانهم المرتدون على الجانب الآخر، وهذه الجماعات الجهادية إذا اعترفت بهذا الكيان العظيم الممثل للإسلام وهو الخلافة فسيترتب على هذا أن ينزعوا الشرعية عن أنفسهم ويخسروا التأثير والسلطة الشخصية)[مجلة دايم، العدد السابع، ربيع الآخر، 1436هـ، ص62].

وهذا يعني بحسب منظور تنظيم الدولة عدة أمور: أن تنظيم الدولة هو الممثل الوحيد للإسلام اليوم، وأن من لم يكن مع

تنظيم الدولة فهو: إما صليبي أو مرتد، لأن المنطقة الرمادية تلاشت، وأن الذي يمنع المجاهدين في الجبهات الجهادية من الانضمام لتنظيم الدولة هو البخل بالمصالح الشخصية فقط وهو نوع من النفاق.

ومن التقسيمات الطريفة لدى تنظيم الدولة المبنية على نظرتهم في "المنطقة الرمادية" هي أن المجاهدين ينقسمون لنوعين: النوع الأول: المجاهد المرتد الصريح وهو الذي يعلن أنه يقبل بالدخول في العمل البرلماني، والنوع الثاني: المجاهد المنافق الذي يعلن عدم قبوله بالدخول في العمل البرلماني، لكن تظهر ردة حين يساعد ويظاهر النوع الأول ضد تنظيم الدولة، كما يقول تنظيم الدولة: (الفضائل المنافقة المرتدة هم أولئك الذين ينتقلون من المنطقة الرمادية إلى معسكر الكفر، بمساعدة المرتدين السافرين، وهم الفضائل الديمocratية والعلمانية، ضد المجاهدين) [مجلة دابق، العدد السابع، ربوع الآخر، 1436هـ، ص64].

ورداً على من قد يستغرب إنزال أوصاف النفاق الأكبر المخرج من الملة على الفضائل المحابدة والمستقلة يقول التنظيم (إذا كان النفاق مفهوماً نظرياً لا آثار له في الدنيا فإن هذه الأوامر -الشرعية في التعامل مع المنافقين- ستكون بلا معنى، وهذا الفهم للإيمان، بما يوافق عقيدة أهل السنة، هو الذي يرشد المجاهدين في قتالهم للفضائل المنافقة التي تحول إلى فضائل مرتدة) [مجلة دابق، العدد السابع، ربوع الآخر، 1436هـ، ص65، وما بين الشرطتين إدماج إضافي].

وفي هذا العدد من المجلة وسعوا نظرية "المنطقة الرمادية" بشكل أكبر، وذكروا فيه العمليات التي في الغرب والموقف منها، وموقف المقيمين في البلدان الغربية بحجة أن الدول المسلمة يحكمها طواغيت، ونحو هذه المسائل، كلها على ضوء نظرتهم الجديدة في "أن تنظيم الدولة أنهى المنطقة الرمادية".

ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد شبه تردد المنافق بين المؤمنين والكافر بالشاة المترددة بين القطيعين كما قال صلى الله عليه وسلم (مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنميين، تغير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة) [صحيح مسلم: 2784]، وهذا التشبيه النبوى البليغ له أصل في كتاب الله وهو قول الله عن تردد المنافقين بين المؤمنين والكافر (مُذَبِّينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هُؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هُؤُلَاءِ) [النساء: 143]، ثم جاء تنظيم الدولة وأعاد تأكيد التكييف العقدي للفضائل الجهادية المحابدة والمستقلة بأنهم "منافقون"، حيث أسقط هذا الوصف النبوى للمنافقين عليهم، ذلك أنه قبل ثلاثة أسابيع، أعني في أواخر رمضان 1436هـ، نشر تنظيم الدولة عدده الأخير من المجلة الرسمية وفيها مقالة دفاعية حاجية عن قاعدة "من قاتلنا فقد كفر لإنضمام مقاتلتنا لتعطيل الشريعة" ردًا على من انتقدوها، وذكر فيها -أيضاً- الشريحة المحابدة والمستقلة بوصف النفاق، كما يقول التنظيم: (وبقيت كتائب قليلة خارج هذا التحالف "محايدين"، كمثل الشاة العائرة، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) [مجلة دابق، العدد العاشر، رمضان، 1436هـ، ص51].

وسبب ذلك هو ما سبق بيانه أن تنظيم الدولة يعتقد أنه لا يوجد أي كيان مسلم اليوم إلا تنظيم الدولة فقط، ومن عدده من الكيانات في العالم كفار، فمن وقف بينهما محابيداً ومستقلًا عن الطرفين فهو "منافق"، لأنه يتذبذب ويتردد بين المسلمين والكافر، فليس لك إلا أن تلتحق بتنظيم الدولة وتباعي البغدادي أو أن تلتحق بالكافر.

على أية حال، هذه ثلاث ابتكارات لتنظيم الدولة في نوافذ الإسلام: الأول: من قاومنا وقاتلنا له أدنى علاقة أو تفاوض مع القوى الغربية أو الإقليمية فهو "محوات" مرتد يباح دمه وماله، والثاني: من قاومنا وقاتلنا وهو يزعم أنه لا علاقة له بأي قوى كافرة فهو مرتد أيضًا يباح دمه وماله لقاعدة "من قاتلنا فقد كفر لأجله مقاتلتنا لتعطيل الشريعة"، والثالث: من لم يقاومنا ولم يقاتلنا أصلًا، وإنما التزم الحياد والاستقلال فهو "منافق" تبعًا لقاعدة "زوال المنطقة الرمادية بعد إعلان الخلافة".

ـ استباحة دماء المخالفين بغير سبب الرادة:

كما رأينا فيما سبق أن الأسلوب المفضل لدى تنظيم الدولة في إزاحة المنافس الجهادي والاستيلاء على ممتلكاته هو الحكم بالردة بناءً على ناقضي تولي الكفار والحكم بالطاغوت، ولكن ليست هذه فقط أسباب القتل عند تنظيم الدولة، بل لقد جهز التنظيم ذخيرة نظرية للقتل تحسباً للظروف فيما لو خرج كيان جهادي جديد يحترس في تحاشي كل أوصاف ومناطق الردة التي أعلنها التنظيم بالتوليد المتوالي، فمثلاً لو ظهرت مجموعة جهادية جديدة وأعلنت أنها ستقطع أي علاقة مع كل طوائف الكفار والمرتدين في العالم، وستحكم بالشريعة في كل التفاصيل دون مراعاة الشروط والموانع، ولن تباعع هذه المجموعة قيادة جهادية عامة بل ستبحث عن شخصية تتناسب لقريش لتحقق شرط القرشية في الإمامة، ففي هذه الحالة هل سيكون تنظيم الدولة في ورطة أمام هذه المجموعة المحتمل ظهورها بطريقة تحاشي كل أسباب قتل المخالف التي يعلنها التنظيم؟

لا، طبعاً، فقد جهز التنظيم رداً أشار لبعضه البغدادي والعدناني في بيان رسمي، وشرحته مجلتهم دايك أيضاً، وهو نوع من "التأصيل الاستباقي"، وفكرة هذا الجواب باختصار: أنه بإعلان تنظيم الدولة للخلافة فقد بطلت شرعية كل الإمارات والجماعات في العالم الإسلامي، ومن جاء ليعلن إمارة جديدة فيقتل لحديث (إذا بُويع لخلفتين فاقتلوا الآخر منهما)، وحديث (من بَايَعَ إِمَامًا فَلَيُطْعَمَ إِنْ أَسْطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرَ يَنْازِعُهُ فَاضْرِبُوهُ عَنْ أَنْكَرِهِ)، وحديث (فَوَا بِبَيْعَةِ الْأُولَى فَالْأُولَى)، ونحوها من النصوص [انظر: مجلة دايك، العدد الخامس، ص25؛ بيان بعنوان: هذا وعد الله؛ مجلة دايك العدد العاشر، ص18؛ وغيرها].

ـ الموازنة بين القوى المناوئة للحركات الجهادية:

حسناً، انتهينا الآن من عرض نماذج من موقف تنظيم الدولة من الحركات الجهادية في العالم الإسلامي على تفاوت اتجاهاتها، وأن تنظيم الدولة يرى أن كل هذه الحركات الجهادية في العراق والشام ولبيا وأفغانستان وفلسطين وغيرها أنهم كلهم صحوات مرتدون موالون للكفار وبحكمون بالطاغوت وأما من سعى لإظهار الحياد والاستقلال في النزاع بين تنظيم الدولة وخصومه فهو منافق ظهر نفاقه لأن المنطقة الرمادية انتهت بإعلان تنظيم الدولة للخلافة، وقام تنظيم الدولة فعلاً بتنفيذ موجب هذا التكفير وأعلن عن عمليات كثيرة يبتهج فيها بعد الضحايا من المجاهدين والثوار، وذكر تنظيم الدولة في بيانه الرسمي أنهم (لم يجدوا فيما شربوا أشهى من دماء الصحوات)، كما ذكرت قيادة سابقة عن هؤلاء المجاهدين الذين وصفتهم بالصحوات بأن (قتل المرتد أحب إلى من مئة رأس صليبية).

ونحن هنا نريد أن ننظر للموضوع من زاوية أخرى، فإذا كان تنظيم الدولة من أعظم المناوئين والمحاربين للحركات الجهادية المعاصرة، فنحن نحتاج أن نقارنه بغيره من القوى السياسية المعاصرة التي تناوئ وتحارب الحركات الجهادية، وهي بحسب وجهة نظري أربع قوى (أمريكا، والميليشيات الرافضية، والحكومات العربية، وتنظيم الدولة)، وسنعرض هذه المقارنة فيما يلي:

أما الولايات المتحدة الأمريكية فإنها تنفذ الغارات وتقتل المنتسبين لحركات المقاومة والجهاد بالجملة، وتبتكر أدق التقنيات العسكرية لاصطيادهم، وتقيم سجوناً خارج مناطق القيود القانونية وتمارس فيها أصنافاً من التعذيب لأسرى الحركات الجهادية لاستخراج المعلومات منهم.

وأما الحكومات العربية فإنها تشتغل كثيراً باعتقال المنتسبين للحركات الجهادية، وتأخذ بأدبي الشبهة والطنة، وتقيم

السجون الكثيرة لاستيعابهم، وتمارس أصنافاً من التعذيب في التحقيق مع المتهم أكثر مما تمارسه الدول الغربية نفسها، ووقدت أحداث في بعض السجون العربية فيها مجازر بالسجناه لردع اعتصام ونحوه.

وأما الميليشيات الرافضية المدعومة إيرانياً فإنها تحكم على المنتسبين للحركات الجهادية بالكفر لأنهم في نظرهم نواصب أو من غلة النواصب، ويملؤون قلوب مقاتليهم بالحقد عليهم، ولذلك يتفنن مقاتلو الميليشيات الرافضية في قتل المجاهدين بأبشع الصور ويعذبونهم بطرق لا تطيق تصورها الفطرة الآدمية.

وأما تنظيم الدولة فإنه يُكفر الحركات الجهادية المعاصرة ويحكم عليها بالردة والنفاق، ويسميهن الصحوات ويتفنن في قتلهم بالنحر بالسكاكين، وبالقتل بالرصاص صبراً، آحاداً وجماعات، وبأنواع التفجير وهدم البيوت، ووسائل تنظيم الدولة في القتل يذكرها كثيراً، كمثل قوله مثلاً في أحد بياته في وصف عام لوسائل القتل (ونصف 11 بيته للمرتدين بعد إخلائهما، فعملت المفخّخات، والعبوات، والقوارب، والقنابل، والهاونات..).

وأما سجون تنظيم الدولة فقد توالت النقل من سجناء الجهاديين وذويهم عن أصناف التعذيب فيها لمن يتهمونه بالصحوات، وإذا كانوا يسمون المجاهدين صحوات، ويصرحون أن أشهى الدماء هي دماء الصحوات، وأن قتل واحد منهم أحب لهم من مائة رأس صليبية؛ فمن غير العلمي استبعاد ارتكاب التنظيم لفظائع التعذيب في سجونه ضد المجاهدين.

والذي يبدو لي -والله أعلم- أن أكثر القوى المناوئة للجهاديين فظاعة في القتل والتعذيب هم: ميليشيات الرافضية وتنظيم الدولة، ثم يليهم الأمريكية والحكومات العربية.

فإذا صح هذا الاستنتاج فهو يحتاج إلى تفسير، والذي يغلب على ظني أن تفسيره -والله أعلم- هو: أن جنود الميليشيات الرافضية وتنظيم الدولة بيت فيهم قياداتهم اعتقاد التقرب إلى الله بالبطش بالمخالف، فيتخذه الجنود ديناً وقربة، فيعتقد جندي الميليشيا الرافضية أن تتكيله بالمجاهد السنّي نصرة وتعظيم لآل البيت، ويعتقد جندي تنظيم الدولة أن تتكيله بالمجاهد المخالف أنه من نصرة وتعظيم تحكيم الشريعة وقمع الممانعين لها، ولذلك فلا يكتفي الجندي من هذين الفريقين بالحد الأدنى من هدف القتل والتعذيب، بل يزيد لاعتقاده أنه في عمل صالح، وقد تحدث أهل العلم كثيراً عن أثر الاعتقاد الفاسد في زيادة الجريمة، وزعماء تنظيم الدولة يستخدمون أحكام التكفير الغالية كسلاح لزيادة بسالة جنودهم في التكيل بالمجاهدين تماماً كما يستخدم معممو الشيعة اللطيميات على كفر النواصب لزيادة بسالة جنودهم في التكيل بمجاهدي أهل السنة.

ـ الموبقة المزدوجة:

خرج من بيت أهله في ريعان الشباب ووالده يسبلان الدموع يحدوه قوله الله (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُفَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، ثم التحق بأفظع الكيانات المعاصرة في التكيل بالمجاهدين "تنظيم الدولة" الذي لا يماثله في هذه الفظاعة إلا الميليشيات الرافضية، وبالتدريج والمسارقة الخفية أقنعته قيادات التنظيم أن الحركات الجهادية الأخرى مرتدون فبدأ يشارك في إطلاق النار عليهم، ثم تدرج الإقناع حتى زينوا له أن يقتل نفسه بين الجماعات الجهادية الأخرى باسم الاستشهاد بين المرتدين، وفعلاً تقدم قليلاً وربط حزامه الناسف ودخل بين إحدى الجماعات الجهادية وقتل نفسه وقتلهم، فذهب إلى ربه وقد جمع موبقتين: الموبقة الأولى: قتل المؤمنين (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤهُ جَهَنَّمُ). والموبقة الثانية: الانتحار وقتل النفس وفي الصحيحين (من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيمة) [البخاري: 6047، مسلم: 110].

إذا كان الرجل قد جاحد مع النبي صلى الله عليه وسلم فجمع شرف الصحابة وشرف الجهاد ومع ذلك لما امتدت يده إلى كساء زهيد الثمن أثناء الغزوة ذاتها أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن قبره يشتعل عليه ناراً، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة في غزوة خيبر أن رجلاً (رمي بسهم، فكان فيه حتفه، فقال الناس: هنيئاً له الشهادة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلا والذى نفس محمد بيده، إن الشَّمْلَةَ لِتَلْتَهَبْ عَلَيْهِ نَاراً، أَخْذَهَا مِنَ الْغَنَائِمِ يَوْمَ خَيْرٍ لَمْ تَصْبِهَا الْمَقَاسِ») [البخاري: 6707، مسلم: 115].

فهذا في رجل جاحد مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ إلا كساءً زهيداً له فيه شبهة ملك، فكيف بالله عليك فيمن يذهب للجهاد ويقتل نفسه ويقتل المجاهدين؟ فيجمع موبقة الانتحار وموبقة قتل المؤمنين مع موبقة الاعتقاد البدعي الفاسد؟

– مراوغة المشايعين:

من أكثر المشاهد تكراراً في الحوارات التي طالعتها بين مشايعي تنظيم الدولة وناقديهم، أن يأتي الناقد ويدرك أخطاء التنظيم وانتهاكاته للشريعة وبطشهم بال المسلمين، فيأتي المناصر ويخرج عن محل النزاع كله ويتحدث عن شرف مقاومة المحتل ومظالم القوى الغربية ومكرها واستعمارها، وضرورة إيقاف المد الرافضي، الخ بل العدناني نفسه في موضع متعدد في بياناته الرسمية في رده على ناقد التنظيم يقول كما في بيان "ثم نبتهل" مثلاً (فما بالكم؟ خلوا بيننا وبين الروافض، خلوا بيننا وبين النصيرية، خلوا بيننا وبين الصليبيين..) ويكرر العدناني ذات العبارة والمفهوم في موضع آخر كما في بيان "ياقومنا أجيروا" (أيتها الفضائل في كل مكان.. وتبوا لربكم، خلوا بيننا وبين اليهود والصليبيين والطواويث..).

ومن الواضح في نظري أن هذا رغبة في الروغان عن محل النزاع المخرج، فهذا المسار في الاحتجاج والمجادلة يوهم المتابع أن ناقد التنظيم أسرهم الحزن والألم لماذا يحارب تنظيم الدولة أمريكا.. ويوهم المتابع أن ناقد التنظيم يسخون الدموع لماذا يقاتل تنظيم الدولة النصيرية والميليشيات الرافضية.. ولا أحد أصلاً من ناقد التنظيم هذه قضيته، بل قضية ناقد التنظيم هي عكس ذلك تماماً، وهي أن جهد تنظيم الدولة الأكبر منصب على البطش بالمجاهدين واحتلال مناطقهم وسفك دمائهم وسلب أموالهم وتعذيبهم في المعذلات وإذلالهم خارجها وتحيّن الفرص والغرة للإيقاع بهم.. ثم يأتي تنظيم الدولة ومشايعوه ويعيد الأسطوانة المكررة "دعونا نقاتل أمريكا وإيران!"، تقول لهم: أنتم تستبيحون دماء المجاهدين فيقول لك "خلو بيننا وبين الصليبيين والرافضة!"، وهكذا في سلسلة تهرب مستمر. وهذا يشبه حالة بعض زعماء الحكومات العربية، ينتقد المعارضون بالفساد المالي فيقول لا تشغلوا عن التنمية!

– المقولات فارغة المعنى:

ثمة مقولات يرددوها مشايعو التنظيم في مواجهة ناقد التنظيم وأصبحتُ – بكل صراحة – لا أدرى هل يقولونها مقتنعين بها فعلاً أم يستعملونها للتشويش على الناقد؟ لأنها بكل وضوح هي عكس الواقع.

ومن هذه المقولات قولهم لمن ينتقد تنظيمهم "لا تطعن في المجاهدين"، وهذه عبارة في غاية الغرابة أن يظل هناك من يتمسّك بها، لأن المشايع والمناصر حتى في الكيانات الضالة يحتاج أن يذكر حجة فيها اشتباه بين الحق والباطل على الأقل لتروج، وأما هذه العبارة فهي عكس الواقع كلياً، فتنظيم الدولة هو الذي يطعن المجاهدين ويکفرهم ويقتلهم ويعذبهم ويفخر بإعلان بعض ذلك، فكيف يقال لناقد لا تطعن في المجاهدين؟ وكيف يكون المناصر لمن يقتل المجاهدين هو الذي يذب عن المجاهدين؟ وكيف يكون المدافع عن كتائب الثورة وفصائل المجاهدين هو الذي يطعن في المجاهدين؟ هذا والله في غاية الغرابة.

وهذا السلوك يذكّرني ببعض الرموز الذين تصدروا لتجريح الدعاة والعلماء العاملين على الساحة، وإصدار سلاسل الأشرطة في كل واحد منهم، فإذا جاء من ينتقد هذا المُجرّح قام بعض طلابه وقال: اتق الله لا تغتب العلماء!

فالواجب اليوم هو أن يقال لكل من يناصر تنظيم الدولة "اتق الله، لا تطعن في المجاهدين" ولا تشارك في إثم من يطعنهم..

ومن هذه المقولات أيضاً التي أصبحت غير معقولة قول مناصري تنظيم الدولة لمن ينتقد تنظيمهم: "أنت تحت المكيف وهؤلاء تحت الرصاص" وهذه عبارة لا أظن أحداً اليوم يصدقها، لأن صواب العبارة أن يقال للناقد "أنت تحت المكيف وتنظيم الدولة فوق عنق المجاهدين"، ولا يخفي أن من كان تحت المكيف فهو أقرب إلى الله من ملء الأرض ممن يتلذذ بإamar شفته على عنق المسلمين، بل لا نسبة بينهما، وفي صحيح مسلم من حديث أبي ذر (قلت يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك).

ومن هذه المقولات الفارغة من المعنى أيضاً قول مشايعي تنظيم الدولة لناقدיהם "انفر للجهاد وسيقبلون منك"، وهذه وإن كانت تشوّش على بعض الناس سابقاً، لكنها اليوم لم تعد كذلك، حتى قال بعض الظرفاء: (هذه العبارة فخ، لأنك إن نفرت للجهاد قتلوك باسم أنك صحوات!)، وعلى أية حال، فلا يحصي الناس اليوم كثرة من نقد تنظيم الدولة من كل الحركات والتيارات والمدارس الجهادية ومن شخصيات على الجبهات، ومع ذلك لم يزدّهم هذا النقد إلا إصراراً على صحوة ناقدتهم.

والمراد أن "كل شروط قبول النقد" التي يُظهرها التنظيم، نريد ناقداً مشاركاً في الجهاد، نريد ناقداً مناوئاً للحكومات العربية وليس جزءاً منها، نريد ناقداً جرب الاضطهاد والسجن، الخ أظهرت لي نتائج الدراسة أنها كلها شروط للاستهلاك الإعلامي والتشويش على المحتسبين عليهم، فهم قد كفروا كل النقاد لهم الذين جمعوا كل هذه الشروط.

ولذلك فمن الأوهام التي قد تتسرّب لبعض الناس أن يظن بعض المتقدرين للعلم والدعوة أنه لو ظهر ببعض المغامرات السياسية فإن تنظيم الدولة سيُعجبون به ويقبلون منه ثم يستطيع تصحيح توجهاتهم، وهذا وهم كبير، فانظر بالله عليك أرتالاً من القيادات التي قضت حياتها في التنقل بين جبهات القتال، وأماماً من أهل الكتابة الذين قضوا حياتهم في سجون الحكومات العربية، وكل هؤلاء من كان تنظيم الدولة يتغالي في تعظيمهم، ثم لما خالفوهم شيئاً لم ينبنوهم فقط، بل حكموا عليهم بالردة! أتوكهم بالله عليك أن ستكون في نفوسهم مثل هؤلاء الذين انقلبوا عليهم؟! هذا تنظيم لديه رؤية واضحة جداً حول "سلطته" والأولوية النهائية عندهم "المشروع أولاً"، فإن كنت جزءاً من بيادق المشروع فأهلاً بك، وإلا جعلوك حطباً في حرقة المرتدين!

ـ خطر الغلو الجوهري: "المزايدات والمشاكلة الخفية":

لا شك أن مشهد المحتسبين للجهاد وهم يُقتلون وينحررون ويُفجّر في مجتمعهم باسم الردة والصحوات، ويعذبون وينذلون ويهانون باسم التحقيق مع المرتدين، على يد تنظيم الدولة؛ من أكثر الأمور فظاعة وألماً وحزناً، ولكن هذا خطر واضح جلي يقرؤه الناس، وإنما هناك خطر خفي للغلو قد يغفل عنه بعض أهل الساحة نفسها، وهو أن كتائب الثورة والفصائل الجهادية الفاضلة، تحت ضغط مزايدات تنظيم الدولة المتكررة حيث يشنع التنظيم عليهم بالقول: أنت تحكمون بالطاغوت ولا تحكمون بالشريعة، أنت تقولون الكفار وتظاهرؤن الطواغيت والمرتدين، ونحو هذه المزايدات، فإنه وإن كانت هذه الفصائل الجهادية الفاضلة تنكر هذا الطرح وتشجبه، إلا أنها تحت الضغط قد تقرر أموراً لم تكن تعتقدها لكتف تنظيم الدولة عن مزايدته، أو تخفي أموراً هي من الحق لقطع الطريق على تنظيم الدولة في أن يستغلها في تشنيع المزايدات عليها، وبالتالي تتسرّب قواعد الغلاة للفصائل تحت ضغط مزايدات تنظيم الدولة، فهذا هو الخطر الخفي المقلق فعلاً.

فإنه من المعلوم أن من أصول السياسة الشرعية النبوية: استعمال كلا الطريقين للوصول للغرض: (الوسائل السلمية) و(الجهاد المسلح)، فمن الوسائل السلمية "سهم المؤلفة قلوبهم" في فريضة الزكاة حيث يعطى رؤوس الكفار من زكوات المسلمين لكتبيهم للإسلام كما قال ابن قدامة (المؤلفة قلوبهم: وهم السادة المطاعون في عشيرتهم، منمن يرجى إسلامه، أو يخشى شره، أو يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره..)، ومن السياسة النبوية (إبرام المعاهدات مع الكفار المحاربين) لمصلحة المسلمين، كما في "صلح الحدبية" وفيه مجتمع دروس السياسة النبوية الحكيم، ومنها (المفاوضات والاجتماعات مع سفراء الكفار المحاربين) كما اجتمع النبي صلى الله عليه وسلم بسهيل بن عمرو سفيراً للمشركين المحاربين وفاوضه، واستقبل سفيري مسلمة المرتد.

ومنها: (الاستعانة بالكافر للمصلحة الراجحة) وقد قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي في كتابه الأم (رد رسول الله مشركاً أو مشركين في غزوة بدر، وأبى أن يستعين إلا بمسلم، ثم استعان رسول الله بعد بدر بستين في غزوة خيبر بعدد من يهودبني قينقاع كانوا أشداء، واستعان رسول الله في غزوة حنين سنة ثمان بصفوان بن أمية وهو مشرك، فالرد الأول إن كان لأن له الخيار أن يستعين بمسلم أو يرده..)[الشافعي، الأم، ت رفعت فوزي، دار الوفاء، ص5/641]. وفي المسألة تفاصيل وقيود وخلاف ليس هذا موضعه، فليس البحث هنا في ترجيح أحد المسائل الفروعية، وإنما في الإشارة لخروج المسألة من باب الردة ونواقض الإسلام إلى باب المسائل الاجتهادية الفروعية.

المهم أنه وبسبب كثرة مزایدات تنظيم الدولة على الفسائل في الشام صارت بعض القيادات الفاضلة تظهر التبرؤ من أي عمل من أعمال السياسة الشرعية النبوية! فتراه ينكر ويستنكر أن يكون قد التقى أو فاوض أو يجنب للسلم أو يقبل العون المسلمين في محتهم ونحو ذلك، كل ذلك تحاشياً من كلمة يلتقطها تنظيم الدولة ويزايد بها عليهم، وهذا خطأ كبير، فهذا فيه تأسيس لقواعد الغلو، وشرعنها لها، وانتقاداً للسياسة النبوية وابتعاداً عن تحكيم الشريعة بعلم وحق، بل الواجب أن تواجه مزایدات تنظيم الدولة بالعلم، ولا يكسر الجهل مثل العلم، ويبين للناس عظمة السياسة النبوية الشرعية ووسائلها الحكيمية.

كما يُبَيَّنُ للناس -أيضاً- أن كل ما يزايد عليه تنظيم الدولة في المفاوضات مع الأعداء فقد صنع تنظيم الدولة نظيره وزيادة، لكنه يستخف بأكثر ذلك، فتنظيم الدولة يبيع ثروات المناطق التي يسيطر عليها ويستورد أسلحة وغيرها فمن أين له كل ذلك إلا بعلاقات مع الكفار المحاربين؟ كما أن التنظيم في بعض مخاطباته حاول أن يعتذر لنفسه أمام عوام الكفار في الدول الغربية المحاربة وقال لهم (يا أيها الأميركيان، ويا أيها الأوروبيون؛ إن الدولة الإسلامية لم تبدأكم بالقتال كما توهكم حكوماتكم ويسور إعلامكم، أنتم من بدأتم الاعتداء علينا، والبادئ أظلم..)[العدناني، بيان عنوان: إن ربكم بالمرصاد، مؤسسة الفرقان، الدقيقة:18].

ما الداعي لإقناع عوام الأميركيان والأوروبيين بذلك؟ ولماذا هذا التمدّح بأن تنظيم الدولة لا يبدأ الكفار المحاربين بقتل؟ أليس هذا بحسب قواعد تنظيم الدولة من الهزيمة بجهاد الطلب والتبرؤ منه أمام القارئ الغربي؟! ولهذا نظائر سأعرضها لاحقاً بإذن الله.

والمراد أن هذا هو الطريق الحقيقي لقطع مزايدهم، وهو أمران: الأول: بيان السياسة النبوية العظيمة في المفاوضات والمعاهدات واللقاء بالسفراء وتحقيق مصالح المسلمين وعدم التنازل عن هذه المكون من الشريعة لأجل مزایدات تنظيم الدولة، والثاني: كشف مفاوضات التنظيم مع القوى المحاربة التي يجريها تحت الطاولة.

ومن تدبر مأساة المسلمين في سوريا بقتل النصيرية لهم بالبراميل المتفجرة وهدم بيوتهم واعتقالهم وتعذيبهم وتجويعهم وانعدام الدواء لهم والتعدي على أعراضهم وحصارهم أدرك أن هذه المأساة لعوام المسلمين ليست مجالاً للمزايدة على المفاصلة لقوى الخارجية الإقليمية والدولية، ولا يجوز لنا أن نمنع أي دعم ومساندة إقليمية أو دولية تخلص عوام المسلمين في سوريا من هذا التقتيل والتعذيب والتجويع الذي يتحقق بهم، وليس تهديد هذه المسألة رخصة يقابلها عزيمة لمن أراد أن يأخذ بها، لأن العزيمة التي تقابل الرخصة هي ما كانت شدتها على الشخص نفسه، أما إذا ترتب الضرر المتعدي على الغير فلا يجوز منع العون لمتضارري المسلمين بحجة الأخذ بالعزيمة، وكيف يهنا شخص يزيد في هذه المسألة وهو بناءً على البال وأطفال الشام بالكاد يُعرف على ملامحهم تحت الأنفاس؟! وإذا كان تنظيم الدولة سيزيد على بعض الفضائل التي تطرق كل باب ممكناً لغوث أطفال الشام وأيتامهم وأراملهم وجرحاه فليزيد كما يشاء، فإن الله يقول في مواضع من كتابه **(والعاقبة للمرتكبين) و قال في موضع آخر (والعاقبة للنّاقِي)**.

ومن الأمثلة على ذلك أن تطبيق الأحكام الشرعية علم عظيم عميق، تحكمه علوم الإسلام مثل أصول الفقه ومقاصد الشريعة وغيرها، وبينها على أمور كثيرة، منها العلم بالشرع والخبرة بالواقع وتحقق الشروط وانتفاء الموانع ومراعاة المصلحة الراجحة والمفسدة والراجحة في التقديم والتأخير، وغير ذلك، ومراعاة هذه الأمور كلها هو من تحكيم الشريعة نفسها، ولكن مع كثرة مزايدة تنظيم الدولة على الفضائل في مسألة تحكيم الشريعة فإن عدداً من الفضائل الفاضلة صارت تشعر بالضغط من قواعدها لإبراز مظاهر من تحكيم الشريعة دون مراعاة القواعد الشرعية، فأصبح يتشرب الشعاراتية في تحكيم الشريعة حيث تتسرّب له من تنظيم الدولة الذي يزيد عليه فيها، وكثيراً ما يتشرب الخصم شعارات خصمه، الواقع أن تنظيم الدولة نفسه هو أكثر الكيانات المعاصرة المنسبة للجهاد انتهاكاً لأحكام الشريعة وكلامه عن تحكيم الشريعة شعاراتي وسيأتي بيان ذلك.

ـ دلالات تكفير الحركات الجهادية:

يميل كثير من الناس إلى أن أكثر الكيانات المعاصرة السياسية والعسكرية بعدها عن قضية تولي الكفار وتعطيل الشريعة هي: الحركات الجهادية الإسلامية، لأنها أصلاً ظهرت اعترافاً على الخلل في هاتين المسؤولتين في الواقع، فإذا كان تنظيم الدولة يعتبر أن الحركات الجهادية ذاتها تظاهر المشركين على المسلمين، وتحكم بالطاغوت، فبالله عليكم كيف سيكون حكم هذا التنظيم على بقية المسلمين في العالم الذين يعملون في الدول المسلمة المعاصرة، وهم جزء من نظام هذه الدول ويعملون بقوانينها ويتحاكمون لمحاكمها ويظهرون احترام مسؤوليتها الخ؟

بل إنني جلست مرة أتأمل: هل يوجد شخص في العالم اليوم يمكن أن يسلم من ناقصي الإسلام (تولي الكفار وتحكيم الطاغوت) بحسب فهم تنظيم الدولة لهذين الناقصين؟ فلم أجد أحداً لا عالم ولا داعية ولا مثقف ولا مهني ولا رجل أعمال بالغ، فالجميع -بحسب مفهوم تنظيم الدولة- يعملون في دول طاغوتية تولي الكفار وهم جزء من نظامها ويُحکّمون قوانينها ويتحاكمون لمحاكمها، فإن قيل ولكنهم مكرهون؟ فالجواب أن تنظيم الدولة قرر أنه بإعلانه الخلافة انتهت دعوى المكث في الدول الطاغوتية بحجة الإكراه، وأن الهجرة اليوم ممكنة لتنظيمهم.

فإليك أيها الشاب الذي مازال له علاقة بتنظيم الدولة: أيتوطأ عامة علماء أهل السنة في العالم الإسلامي اليوم ومجاهديهم وفضلائهم على بطلان هذه التي تسمونها "الخلافة" ثم تطبق آثارها بكل تعتن كأن معك دليلاً قطعياً على صحتها؟ أيتوطأ عامة علماء العالم الإسلامي اليوم ومجاهديهم وفضلائهم على بطلان الصور التي يحكم بها التنظيم على الجماعات والأفراد بالردة ثم تطبق هذا الحكم على أهل لا إله إلا الله بكل بروءة لأن معك برهاناً من الله؛ وتطبق كل أحكام المرتد في الدماء

والأموال والتفسيل والصلوة والترحيم والولاء والبراء والمظاهرة الخ ثم تنتحر بينهم فتقتل نفسك وقتلهم، كل ذلك لأجل قائد عسكري جزم لك أن الطائفة الفلانية مرتدة؟ وأنت أعلم من غيرك أن هذا القائد العسكري لا صلة له بالعلم، وأنت أعرف من غيرك أن هؤلاء الشرعيين حوله إنما وظيفتهم إسباغ الشرعنة على قراراته وأن أحدهم لا يطيق مواجهته بالإنكار؟!

حسناً، كنت قد كتبت تعقيبات ومناقشات لهذه المسائل الموضوعية المثارة في هذه الحلقة، وكتبت -أيضاً- نتائج أخرى من واقع وثائق التنظيم، ولكن طالت هذه الورقة جداً، فرأيت أن أفصل التعقيبات والنتائج المتبقية إلى حلقة قادمة قريبة بإذن الله.

وأعيد التأكيد مجدداً هنا أنني أعرضت عن أي تقييم لأي حركة جهادية هنا، وعزلت كل رأي شخصي لي في هذا الموضوع، لئلا ينبعط غرض البحث الأساس الذي هو فهم وتصور موقف تنظيم الدولة من الحركات الجهادية المعاصرة.

والنتيجة النهائية التي توصلنا لها في هذه الحلقة أن تنظيم الدولة يكفر كل الحركات الجهادية اليوم فمن قاومه منها فهو مرتد، ومن استقل وحيد فهو منافق، وينفذ مقتضى هذا التكفير بالقتل والتنكيل والتعذيب ضد الحركات الجهادية المعاصرة، وأن دماءهم أشهى الدماء عنده، وأن قتل الواحد منهم أحب إليهم من مائة رأس صليبية، كما يعبر التنظيم.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه،

صياد الفوائد

المصادر: